مباحث في علوم القرآن الكريم

إعداد:

د. أماني محسوب العطيفي

العام الجامعي2024م-2025م

الكلية : تربية تعليم ابتدائي

شعبة :اللغة العربية

الفرقة :الأولى

مقرر :علوم القرآن

العام الجامعي :2024-2025

عدد صفحات المقرر:173

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.... وبعد.

فإنّ القرآن الكريم كتاب: هداية ومشكاة نور ومنهج حياة، بيّن الله فيه للناس ما يجب لهم وما يجب عليهم، وما يحل لهم وما يحرم عليهم، وذلك في قواعد كلية، تندرج تحتها فروع لا تنحصر من الأحكام التي لا غنى لهم عنها في أي عصر من العصور.

فما من صغيرة ولا كبيرة يحتاج الناس إليها إلا شملها تشريعه، ووسعها بيانه. قال تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ [النحل:89].

لهذا كان من الواجب على كل مسلم، آمن بالله وكتبه ورسله أن يتدبر معانيه ويتفقه فيه، ويتعلم منه أحكام دينه وأمور دنياه، ويرجع إليه في كل قضية من قضاياه الخاصة والعامة، ويجعله ربيع قلبه وأنيسه في وحشته، وإمامه في حله وترحاله.

وانطلاقًا من هذا الواجب، بذل العلماء من الصحابة والتابعين جهدهم في حفظه ومدارسته، واستخلاص ما فيه من العظات والعبر، واستنباط ما تضمنته آياته من الأحكام التكليفية من عقائد وعبادات ومعاملات، مسترشدين فيما غمض عليهم فهمه بأقوال النبي ρ وأفعاله، فقدموا لطلاب الدين والدنيا تراثًا حافلاً، لا ينضب معينه من أنواع العلم وألوان المعرفة، وفتحوا لهم أبوابًا واسعة للتأمل والنظر فيما جد ويجد من شؤون الحياة.

وبين أيدينا من هذا التراث الخالد ما لا يكاد يحصى في شتى العلوم، ومختلف الفنون، وكلها لا غنى عنها، لمن يريد فهم أحكام الدين بوجه خاص وشؤون الدنيا بوجه عام.

فأفضل ما تجب العناية به، والاهتمام بمدارسته ومعايشته: هو كتاب الله عز وجل، فهو كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه ولا يمله قارئه ولا سامعه، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن عمل به آجر، ومن هدي إليه، فقد هدى إلى صراط مستقيم.

ولما كانت"علوم القرآن الكريم" هي طوائف المعارف المتصلة بالقرآن، والتي تعين على فهمه، والوقوف على بعض أسراره، حسب ما يفتح للبشر، فقد حاولنا في هذه الدراسة المعنونة ب" مباحث في علوم القرآن" أن نقدم وصفًا لهذا المصطلح"علوم القرآن الكريم" وذلك بإيجاز غير مخل.

الدراسات السابقة:

وبالرغم من وجود دراسات معاصرة، سابقة كثيرة ومفيدة على هذا الجهد المتواضع، إلا أن هذه الدراسة أعدت لتكون مناسبة لطلبة الأقسام الشرعية، وفيما يلي أهم الدراسات السابقة حول القرآن الكريم:

1. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني.
2. المعجزة الكبرى ، محمد أبو زهرة .
3. المدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتور محمد محمد أبو شهبة.
4. مباحث في علوم القرآن: للدكتورصبحي الصالح.
5. مباحث في علوم القرآن : مناع القطان .
6. لمحات في علوم القرآن، تأليف الشيخ محمد الصباغ.
7. مدخل إلى علوم القرآن والتفسير للدكتور فاروق حمادة.

إلى غير ذلك من المصنفات المهمة الأخرى ، التي تميزت بالتراثية (البرهان للزركشي – الاتقان للسيوطي وغيرهما).

وقد راعى المصنف المناهجَ العلمية في إعداد الكتاب، فكان المنهج الاستقرائي الغالب على الكتاب، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي والاستنباطي، مع الأخذ في الاعتبار، أن هناك أدوات قد استخدمت في تطبيق المناهج العلمية، مثل: تخريج الأحاديث النبوية تخريجا علميا، وإثبات الآيات القرآنية بالصورة العثمانية، وتوثيق المعلومات توثيقا علميا؛ بالاعتماد على المراجع الأصيلة.

كما راعى المصنف أن تكون خطة الكتاب مناسبة لموضوعاته فجاءت في تمهيد وبابين، وقد انقسم البابان إلى مجموعة من الفصول، على النحو التالي:

المشتملات:

التمهيد: وفيه تمت دراسة كلمة (قرآن) من حيث الاصطلاح، ثم مصطلح"علوم قرآن" من حيث النشأة والتطور، ثم بينا أسماء القرآن الكريم وأوصافه، ثم أسماء سوره والفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي وذلك من خلال مباحث.

الفصل الأول: الوحي وفيه: (تعريفه، كيفيته، صوره).

الفصل الثاني: نزول القرآن الكريم وفيه: (نزوله جملة ومفرقًا والحكمة من ذلك، نزوله على سبعة أحرف وأقوال العلماء في ذلك، الحكمة، فوائد اختلاف القراءات).

الفصل الثالث: المكي والمدني وفيه: (التعريف، الصفات والضوابط).

الفصل الرابع: جمع القرآن وترتيبه (مراحل الجمع، وصفات كل مرحلة) وفيه أيضًا: ترتيب الآيات والسور، الرسم العثماني.

الفصل الخامس: أسباب النزول وفيه: (اهتمام العلماء بأسباب النزول، تعريف السبب، عموم اللفظ وخصوص السبب، فوائد معرفة أسباب النزول).

الفصل السادس: المحكم والمتشابه وفيه: (التعريف، أقوال العلماء، الحكمة من المتشابه)

الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ وفيه: (التعريف، أقسام النسخ، أنواع النسخ، الحكمة).

الفصل الثامن: القصص في القرآن الكريم وفيه: (تعريفها، أنواعها، القصة القرآنية حقيقة لا خيال، نقد لمذهب هدام).

الفصل التاسع: المثل في القرآن الكريم وفيه: (أهمية المثل، أقسام المثل).

الفصل العاشر: القسم في القرآن الكريم وفيه: (الغاية من القسم، أنواع القسم، حذف جواب القسم)

الفصل الحادي عشر: الجدل في القرآن الكريم وفيه:(تعريف الجدل، طريق القرآن في الجدل).

الفصل الثاني عشر: المطلق والمقيد.

الفصل الثالث عشر: فواتح وخواتيم السور والمناسبات.

الفصل الرابع عشر: إعجاز القرآن الكريم وفيه: (التعريف، وجوه الإعجاز العلمي، البلاغي، التشريعي).

الفصل الخامس عشر: مصطلح" علم تفسير القرآن، وفيه: (تاريخ التفسير– تطوره، وأقسامه، مصادر التفسير وأهم المؤلفات فيه).

وقد حاول المصنف . في كل ما سبق . أن يقدم المعلومة سهلة ومبسطة؛ كي يتمكن الطلاب الأعزاء من الاستفادة من كل ما قُدم، كما راعي توثيق المعلومات لمن أراد الاستزادة، كل ذلك اشتمله منهج مبسط أكاديمي، مرتب على حسب الأصول العلمية.

أضرع إلى الله عز وجل أن يحقق للمسلمين النجاح والتوفيق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق:3] .

المؤلف

الأهداف العامة لدراسة مقرر" مباحث في علوم القرآن".

يتوقع من الدارسين لهذا المقرر:

أولا:أن يتعرفوا على مصطلحي" القرآن الكريم" و" علوم القرآن الكريم"، كما يتعرفون على أسماء القرآن وصفاته وأقسامه.

ثانيا:أن يقفوا على صور الوحي وطرق إثباته، والفرق بين القرآن المكي والمدني، وكيفية نزول القرآن وجمعه وتدوينه.

ثالثا:أن يتعرفوا على أسباب النزول، وضوابطه، وهل لكل آية سبب، وما فوائد معرفة الأسباب؟

رابعًا:أن يدركوا معاني المحكم والمتشابه، وماذا تعني مصطلحات: النسخ وأنواعه، والقسم والجدل في القرآن.

خامسًا:أن يتعرفوا على القصص القرآني، وما حكمته.

سادسًا:أن يدركوا ويستفيدوا من دراسة أوجه الإعجاز القرآني، وشروط المعجزة القرآنية.

سابعًا:أن يفرقوا بين مناهج المفسرين المتعددة لتفسير القرآن الكريم، كما يتعرفون على شروط المفسر وآدابه.

ثامنًا: أن يتعرفوا على مجموعة من التفاسير، ذات المناهج المختلفة.

تاسعا: القدرة على الرد على الشبهات المثارة حول القرآن وعلومه.

عاشرا : الاستفادة من مباحث العلوم القرآنية في المناهج الدراسية .

التمهيد

وفيه مباحث:

المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور.

المبحث الثاني: القرآن الكريم... أسماؤه وأوصافه (وسوره).

المبحث الثالث: الحديث القدسي: تعريفه، والفرق بينه وبين القرآن الكريم.

التمهيد

المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور

المطلب الأول: تعريف علوم القرآن:

علوم القرآن، مركب إضافي جاء علمًا على هذا العلم الذي نحن بصدد دراسته، ولفهم هذا المركب لابد من تعريف جزئيه .

أولا: تعريف كلمة "علوم":

علوم جمع علم، قال ابن فارس :"الْعَيْنُ وَاللامُ وَالْمِيمُ" أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ"[1].

والعلم في الاصطلاح: "هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم"[2].

ثانيًا: تعريف كلمة "قرآن"

القرآن في اللغة: مصدر كالغفران، تقول: قرأ قراءة وقرآنا بمعنى واحد[3]، ثم صارت بعد المصدرية، اسم علم يطلق على النظم الكريم، وهذا هو الغالب.

أما القرآن في الاصطلاح:" هو كلام الله المنزل على محمد ρ المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه[4].

تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافي:

هو مجموعة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه،... [5]إلخ.

فضله: إن شرف العلوم بشرف موضوعها، وموضوع علوم القرآن هو القرآن الكريم، وعليه، فعلوم القرآن الكريم من أفضل العلوم وأشرفها وأسماها، كما قال ابن الجوزي –رحمه الله

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، 109/4.

(2) التعريفات، للجرجاني، 155.

(3) لسان العرب، لابن منظور، 128/1، مادة(قرأ) المصباح المنير، للفيومي، ص259، مادة: (قرأ).

(4) عرف العلماء القرآن الكريم بتعريفات عدة، أطنب بعضهم، وتوسط آخرون، وأوجز البعض من حيث ذكر الخصائص والإعجاز والتواتر والكتابة. ينظر هذه الآراء في: مناهل العرفان، للزرقاني، 19/1–20.

(5) ينظر : المصدر السابق، 133/1.

تعالى:"لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم"[1].

فائدته: لا نخطئ التعبير إن قلنا: إن علوم القرآن، تعد مفتاح التفسير، إذ لا يستطيع أحد أن يلج إلى التفسير إلا بهذا العلم، فلا بد للمفسر من التسلح بعلوم القرآن الكريم، ليستطيع الولوج إلى التفسير، والدفاع عن كتاب الله، ودحض الشبهات التي يثيرها الأعداء وغيرهم حول ساحته.

المطلب الثاني: نشأة علوم القرآن:

لهذا العلم مرحلتان:

الأولى: ما قبل التدوين:

كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم على دراية تامة بعلوم القرآن، فقد أقبلوا على القرآن الكريم منذ نزوله، تلاوة وحفظًا ودراسة وتدبرًا، وكانوا يفهمون القرآن الكريم بسليقتهم العربية، فقد كانوا عربًا خلصًا، وهبهم الله ملكة تامة للحفظ، وذكاء في القريحة، فكانوا يزنون الكلام ويتذوقون البيان، فضلاً عن ملازمتهم لدروس الرسول ρ كما تبين الأحاديث. وتدلل لنا الأخبار التالية على أن الصحابة كانوا على دراية تامة بعلوم القرآن.

فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ[2]. فقوله (تعلم)، (ويعرف) دليل واضح على طريقة التعلم والفهم ومصدرهما.

وروى أبو عبد الرحمن السلمي[3] قال:" حَدَّثَنَا الَّذِينَ، كَانُوا يُقْرِؤُنَنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَقْرَئُونَ مِنَ النَّبِيِّ ρ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يَخْلُفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا"[4]. وفي ذلك إشارة واضحة للتعلم بمرحلتيه النظرية والعملية.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلا وَأَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ، وَلا آيَةٌ وَأَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"[5].

---

(1) زاد المسير، لابن الجوزي، 3/1.

(2) تفسير الطبري: 80/1 . وقال الشيخ أحمد شاكر:" إسناده موقوف على ابن مسعود" .

(3) هو: أبو عبد الرحمن السلمي، عبد الله بن حبيب، من قراء القرآن وأهل الورع في السر والإعلان. مات سنة أربع وسبعين. مشاهير علماء الأمصار، ص164.

(4) المصدر السابق، وقال الشيخ أحمد شاكر:" هذا إسناد صحيح متصل " .

(5) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ρ 187/6، ح5002 .

ويقول علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهو على المنبر:" سَلُونِي فَوَاللَّهِ لا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلا وَأَنَا أَعْلَمُ بِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ وَأَمْ فِي سَهْلٍ، أَمْ فِي جَبَلٍ"[1].

فهذه الأخبار وغيرها تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا على دراية تامة بعلوم القرآن ومعارفه.

وبهذا يتضح لنا: أن علوم القرآن ظهرت منذ نزل القرآن على الرسول ρ، وعلى رأس هذه العلوم: علم التفسير.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعتمدون على المشافهة في تعلُّم علوم القرآن الكريم، ولم يدونوا شيئًا من هذه العلوم، ويرجع ذلك إلى أسباب منها[2]:

1- أغلب الصحابة كان أميا، لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

2- أن الرسول ρ نهاهم عن كتابة شيء غير القرآن بقوله ρ: "لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[3].

الثانية: عهد التدوين:

في هذا العهد بدأ تدوين العلوم، وكان أول علم يدوّن هو علم التفسير، وقد دوّن في أول أمره على أنه باب من أبواب الحديث، وممن دونه في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي"ت117هـ"، وشعبة بن الحجاج"ت160هـ" ووكيع بن الجراح"ت197هـ"، وسفيان ابن عيينة"ت198هـ"، وغيرهم، وكان جمعهم للتفسير جمعًا لباب من أبواب الحديث.

ثم دون التفسير مستقلاً، ويأتي على رأس المدونين العلامة محمد بن جرير الطبري"310هـ"، فيعد تفسيره للقرآن من أقدم ما وصل إلينا كاملا شاملا، جمع فيه صاحبه ما ورد عن الصحابة والتابعين، ووجه الأقوال، ورجح بعضها على بعض، وأورد أسباب النزول، وذكر الإعراب، والأحكام...وغير ذلك.

وقد اتجهت همم كثير من العلماء إلى التدوين في بعض مباحث علوم القرآن، وإليك بعض هذه المؤلفات:

1) ألف الحسن البصري (ت110هـ) في "القراءة".
2) وعطاء بن أبي رباح (ت114هـ) في "غريب القرآن".

---

(1) تفسير عبد الرزاق 234/3، ح2970 .

(2) مناهل العرفان، للزرقاني،246/1، دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص33 .

(3) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت فِي الحديث وحكم كتابة العلم، 228/8 ، ح3004.

3) وقتادة بن دعامة السدوسي (ت117هـ) في "الناسخ والمنسوخ".
4) وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ) "المقطوع والموصول".
5) وعلي بن المديني (ت234هـ) في "أسباب النزول".
6) وابن قتيبة (ت276هـ) "تأويل مشكل القرآن".

المطلب الثالث: ظهور اصطلاح علوم القرآن:

إذا كان اصطلاح علوم القرآن يطلق على: مجموعة العلوم التي تخدم القرآن الكريم، كعلم أصول التفسير، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والرسم العثماني وإعجاز القرآن.. وغير ذلك. وهذه العلوم، وإن كانت قد ظهرت في وقت مبكر، إلا أنها لم تجمع في كتاب واحد، وتظهر كفن مدوّن، إلا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري حين ألف محمد بن خلف بن المرزبان"ت309هـ" كتابه"الحاوي في علوم القرآن"[1].

ثم توالت المصنفات في علوم القرآن ومن أهمها:

1) "المختزن في علوم القرآن"، لأبي الحسن الأشعري (ت324هـ).
2) "الأمد في علوم القرآن" لعبيد الله بن جرو الأسدي (ت387هـ).
3) "فنون الأفنان في علوم القرآن" لابن الجوزي (ت597هـ).
4) "البرهان في علوم القرآن" لبدر الدين الزركشي (ت794هـ)، وهو كتاب فريد في نوعه، جميل في جمعه وترتيبه، اشتمل على سبعة وأربعين نوعًا من أنواع علوم القرآن، قال عنه مؤلفه:" ضمنته من المعاني الأنيقة والحكم الرشيقة ما يهز القلوب طربا ويبهر العقول عجبا، ليكون مفتاحا لأبوابه وعنوانا على كتابه معينا للمفسر على حقائقه ومطلعا على بعض أسراره ودقائقه"[2]، وهو من أفضل المؤلفات في علوم القرآن الكريم ومن أحسنها تنظيمًا وتبويبًا وأسلوبًا.
5) "الإتقان في علوم القرآن" لجلال الدين السيوطي (ت911هـ) وهذا الكتاب عمدة الباحثين والكاتبين في هذا الفن. ذكر فيه السيوطي: ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج ثم قال: ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلاثمائة[3].
6) وألف محمد عبد العظيم الزرقاني (ت1948م) «مناهل العرفان في علوم القرآن» " – رحمه الله– وهو كتاب حافل، غير أنه لم يستوعب أنواع علوم القرآن، إلا أنه أوسع فيه القول،

---

(1) دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص41 .
(2) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 9/1.
(3) الإتقان، للسيوطي،31/1 .

وأطنب في بعض موضوعاته، ولا سيما في الرد على الشبه والمشكلات التي أثيرت حول «القرآن».

وقد انتعشت المصنفات القرآنية كثيرًا في السنوات الأخيرة بما يدعو إلى التفاؤل وصدق الله العظيم **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [الحجر: ٩].

ومن أهم هذه المؤلفات:

1. علوم القرآن، للدكتور، عدنان زرزور.
2. دراسات في علوم القرآن، للدكتور فهد الرومي.
3. دراسات في علوم القرآن، للدكتور محمد بكر إسماعيل.
4. علوم القرآن والحديث للشيخ أحمد محمد علي داود.

المبحث الثاني: القرآن الكريم أسماؤه وأوصافه (وسوره).

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم:

بداية نقرر سؤالاً يمكن أن يطرح على مستوى التعريفات اللازمة لكل مصطلح، وهو هل نحن بحاجة حقيقية إلى معرفة لفظ القرآن؟ وألا يكفي في التعريف به أن نشير إلى ما بين دفتي المصحف ونقول: هذا هو القرآن؟ أو أن نقول: إن القرآن هو قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم – الحمد لله رب العالمين... إلى أن نختم قولنا بآخر كلمات القرآن"..من الجنة والناس" سورة الناس.

ربما لم تكن هناك حاجة حقيقية لتعريف عامة المسلمين بالقرآن وتوقيفهم على مدلول هذا اللفظ بأكثر مما سبق، حيث يكفي المسلم العادي حين يسمع أو يقرأ كلمة"قرآن" أن يعرف أنها تعني ذلك المكتوب في المصحف المشار إليه، أو ذلك المقروء باللسان والمحفوظ في الصدور، ويكون بذلك قد وقع على تعريف القرآن تعريفًا تحديديًا. ولكن الحاجة تصبح ضرورية لدى المسلم الدارس، ليس من ضرورة أن لفظ القرآن من الكليات التي تحدها التعاريف المنطقية ذات الأجناس والفصول، ولكن من الضرورة تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه، مما قد يشاركه في الاسم ولو توهما، وبيان صفاته التي امتاز بها عن هذه الأنواع.

إن لفظ القرآن في اللغة – أصلاً – مصدر كالغفران، تقول: قرأ قراءة وقرآنا بمعنى واحد[1] قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)[القيامة:17–18] أي: قراءته.

ثم صار بعد مصدريته، اسم علم يطلق على النظم الكريم، وهذا هو الغالب، ومنه قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)[الإسراء: 9].

---

(1) لسان العرب، لابن منظور، 128/1، مادة(قرأ) المصباح المنير، للفيومي، ص259، مادة(قرأ).

كما يطلق على الجزء منه بطريق الاشتراك اللفظي كقوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[الأعراف: 204] ، يعني أي جزء منه، ولهذا صح أن يقال لمن قرأ اللفظ المنزل كله: إنه قرأ قرآنا، ولمن قرأ ولو آية واحدة منه: إنه قرأ قرآنا، وعلى هذا يفهم قول الفقهاء مثلاً: تحرم قراءة القرآن على الجنب، فإنهم يقصدون حرمة قراءته كله أو بعضه على حد السواء.

ويطلق على النظم الرباني لفظ"الكتاب" كما في قوله تعالى(آلم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ)[البقرة:1-2] ، وذلك لجمعه أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على وجه مخصوص. ومما هو معلوم أن تسمية النظم الرباني"بالقرآن" روعي فيه كونه متلوًا بالألسن، كما روعي في تسميته"بالكتاب" كونه مكتوبًا، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أنه من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أي: حفظه في الصدور والسطور معًا، فلا بد من توافق الحفظين[1].

وقد عرف العلماء القرآن الكريم بتعريفات عدة[2]، وأفضل هذه التعريفات هو:

أن القرآن الكريم:"كلام الله المنزل على محمد ρ المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه".

دلالة التعريف[3]:

"**فالكلام**" جنس شامل لكل الكلام، وإضافته إلى الله تميزه عن كلام من سواه من الأنس والجن والملائكة.

"**المنزل**" مخرج للكلام الإلهي الذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعملوا به لا لينزلوه على أحد من البشر؛ إذ ليس كل كلامه تعالى منزلاً، بل الذي أنزل منه قليل من كثير.

"**على محمد ρ**" أي بلفظه ومعناه، مخرج ما نزل على غيره كالتوراة والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وما نزل بمعناه كالأحاديث القدسية.

"**التواتر**" ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب، ويدخل ضمن ما تواتر القراءات العشر، وتخرج القراءات الشاذة ولا تسمى قرآنا.

"**المتعبد بتلاوته**" أي المأمور بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة والذكر، ولإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من منسوخ التلاوة والأحاديث القدسية المسندة إلى الله عز وجل إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها، فإن قلنا: إنها منزلة بمعناها فحسب فهي خارجة بالقيد الأول، فلا تعتبر كلامًا لله من حيث كانت ألفاظها من عند رسول الله ρ، فهي حرية أن تنسب

---

(1) ينظر: النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز ص 12 – 13، بتصرف.

(2) أطنب بعضهم، وتوسط آخرون، وأوجز البعض من حيث ذكر الخصائص والإعجاز والتواتر والكتابة. ينظر هذه الآراء في: مناهل العرفان، للزرقاني، 1/19-20.

(3) ينظر: علوم القرآن ، مدخل إلى تفسير القرآن ، وبيان إعجازه ، د. عدنان زرزور، ص46-47..

إليه؛ لأن الكلام إنما ينسب إلى واضعه الذي ألفه على نحو خاص، ولو كان فيه من المعنى من خارج نفسه.

"**المتحدى بأقصر سورة منه**" لأنه معجز للبشر، فقد طلب من العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا عن الإتيان بها. وصدق الله **تعالى(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88))[الإسراء:88].**

المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم:

بلغت أسماء القرآن عند كثير من العلماء أكثر من تسعين اسمًا، وعند البعض الآخر خمسًا وخمسين[1]، وأرى أن هذا العدد ما بين أسماء وصفات للقرآن وربما أدخلت الأسماء في الصفات. وعلى جميع الأحوال، فالأمر فيه سعة فمن نطق الاسم يريد الصفة فلا بأس، وهذه بعض الأسماء:

1- القرآن: قال **تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [الإسراء: 9].**

2- الكتاب: قال تعالى(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [الأنبياء: 10].

3- الذكر: قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: 9]

4- الفرقان: قال تعالى(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) [الفرقان: 1].

5- «التنزيل»، قال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[الشعراء: 192].

المطلب الثالث: أوصافه:

وصف الله تعالى القرآن الكريم بأوصاف كثيرة، وكل وصف من هذه الأوصاف يدل على معنى من المعاني التي تضمنها القرآن الكريم، منها:

1 - «عربي، وبشير، ونذير» قال **تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا)[فصلت: 3 – 4].**

2 - و"هدى" و"شفاء" و"رحمة" و"موعظة: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)) [يونس 57].

3 - و«نور»: (يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)[النساء 174].

4 - و"بشرى".(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[البقرة 97].

---

(1) ينظر: البرهان للزركشي273/1، لطائف الإشارات للقسطلاني18/1، الإتقان، للسيوطي،67/1.

5 – و"عزيز"..(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41)) فصلت [41].

6 – و"مبارك"..(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) [الأنعام 92].

7 – و"مجيد".. (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) [البروج ٍ21].

المطلب الرابع: سور القرآن:

السورة: تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت: أي أفضلت، وكأنها قطعة من القرآن. ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزها. ومنهم من يشبهها بسور البناء: أي القطعة منه. وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها. وقيل: لارتفاعها: لأنها كلام الله والسورة المنزلة الرفيعة. وقيل: لتركيب بعضها على بعض، ومن التسور بمعنى التصاعد والتركيب. إلى غير ذلك من الأقوال[1].

ويمكن تعريفها اصطلاحا:

قال الجعبري : السورة بعض قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات.

وقيل: السورة الطائفة المترجمة توقيفًا، أي الطائفة من القرآن المسمّاة باسم خاص بتوقيف من النبي صلّى الله عليه وسلم.

وقيل: السورة بعض من كلام منزّل مبين أوله وآخره، إعلامًا من الشارع، قرآنًا كان أو غيره[2] .

وقيل: إنها طائفة مستقلة من آيات القرآن، ذات مقطع ومطلع، وهي مأخوذة من سور المدينة؛ وذلك إما لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كالبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كل صف منه على صف[3].

وسور القرآن أقسام أربعة هي:

أ- السبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، والسابعة قيل: الأنفال وبراءة؛ لأنهم كانوا يعدونهما سورة واحدة لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: السابعة يونس.

ب- المئون: التي تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

ج- المثاني: هي التي تلي المئين في عدد الآيات، سميت بذلك؛ لأنها تثني في القراءة وتكرر أكثر من الطوال والمئين.

---

(1) لسان العرب، ابن منظور،، 384/4، تهذيب اللغة، الأزهري، 36/13، الإتقان، للسيوطي، 1/ 69.

(2) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، 989/1.

(3) مناهل العرفان، للزرقاني، 320/1-324.

د- المفصل: وفيه خلاف؛ فمن قائل: من أول سورة"ق" وقيل: من أول"الحجرات" وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، ولذا يسمى المحكم أيضًا.

وهو ثلاثة أقسام: طوال وأوساط وقصار. فطواله من أول"الحجرات" إلى سورة"البروج" وأوساطه من سورة"الطارق" إلى سورة"لم يكن" وقصاره من سورة"إذا زلزلت" إلى آخر القرآن[1].

تنبيه: تحديد أوائل هذه الأقسام وأواخرها باجتهاد من العلماء.

أسماء السور:

قد يكون للسورة من القرآن الكريم اسم واحد وهو كثير.

وقد يكون لها اسمان فأكثر، وكثرة الأسماء ترجع لبعض المعاني الخاصة بالسورة القرآنية، وهذا شبيه بفعل العرب.

فالفاتحة لها أسماء كثيرة: منها فاتحة الكتاب، أم القرآن، أم الكتاب، السبع المثاني، الكافية، الواقية، الشافية، سورة المناجاة، الوافية، الكنز، إلى غير ذلك من الأسماء.

وسورة المائدة تسمى: **سورة العقود.**

وسورة الأنفال تسمى: **سورة بدر.**

وسورة النحل تسمى: **سورة النعم.**

وسورة الشعراء تسمى: **سورة الجامعة.**

وسورة النمل تسمى: **سورة سليمان.**

وسورة غافر تسمى: **سورة المؤمن.**

وسورة الرحمن تسمى: **عروس القرآن.**

وسورة الطلاق تسمى: **النساء الصغرى.**

وسورة عم يتساءلون تسمى: **النبأ والتساؤل.**

وسورة الفلق، والناس، تسميان"**المعوذتان**".

وقد سميت سور بأسماء الأنبياء وذلك؛ لأن السور احتوت قصصهم مثل سورة نوح وسورة هود وسورة إبراهيم ويونس ويوسف.

وهناك أقوال كثيرة وتأويلات حول أسماء السور القرآنية كلها تحتاج إلى مستند من الأثر، فلذا ابتعدنا عنها[2].

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 1/ 75، الفوز الكبير في أصول التفسير، للدهلوي، ص140، دراسات في علوم القرآن ، فهد الرومي، ص107، محاضرات في علوم القرآن، غانم قدورى، ص75.

(2) الإتقان، للسيوطي، 1/ 70 وما بعدها.

المطلب الخامس: هل تسمية السور القرآنية توقيفية أم اجتهادية؟

للعلماء في ذلك قولان:

الأول: ذهب كثير من العلماء إلى أن تسمية السور توقيفية، ومن هؤلاء الطبري[1]، والزركشي[2]، والسيوطي[3] وغيرهم

واستدلوا على ذلك بتسمية النبى ρ لبعض السور، كفاتحة الكتاب، وسورة البقرة، وآل عمران، والنساء، وغيرها.

الثاني: أن أسماء السور اجتهادية، ولعلهم اعتمدوا فى هذا على عدم ورود اسم كل سورة من طريق التوقيف، وإن وقع هذا لبعض السور.

والذي نميل إليه هو أن أسماء السور على ثلاث مراتب:

1 – منها ما ثبت تسميته عن النبي ρ.

2 – منها ما ثبت تسميته عن الصحابة، مثل ما ورد في صحيح البخاري أن سعيد بن جبير قال:"سألت ابن عباس عن سورة الأنفال، فقال: تلك سورة بدر"[4]، فسماها ابن عباس سورة بدر.

3 – منها ما ثبت عمَّن دون الصحابي بدءًا من التابعين إلى يومنا هذا، ومما يلحظ أنه يغلب عليها أن تسمى ببدايات السورة، مثل: سورة (لم يكن)، سورة (أرأيت)، سورة (عم) وهكذا، والاصطلاح على تسمية سورة باسم جائز؛ لأنه لم يرد نهي من النبي ρ في ذلك، وما زال العمل عند المسلمين على هذا من عهد الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، فليس في هذا إشكال ولا نكير[5].

---

(1) جامع البيان، للطبري، 100/1 .

(2) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 270/1.

(3) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، 276/2.

(4) صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب فِي سورة براءة والأنفال والحشر، 2322/4، ح3031 .

(5) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص63، المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان، ص170.

المبحث الثالث: الحديث القدسي.

المطلب الأول: تعريفه، ووجه التسمية:

هو ما يضيفه النبي ρ إلى الله تعالى[1].

وجه التسمية: سمي بالحديث نظرًا؛ لأن الرسول ρ هو الحاكي له.

وسمي بالقدسي: نسبة إلى القدس، وهو الطهر، والتقديس: التطهير، ومنه قوله تعالى: **(وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ)** [البقرة: 30]، وقَالَ الزَّجاجُ: معنى نُقَدِّسُ لَكَ، أي: نُطهِّرُ أنفُسنا لَكَ[2].

والأحاديث القدسية: تقديس الله وتنزيه ذاته العلية عن النقائص وما لا يليق به سبحانه.

مثاله: ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ρ قال: قال الله تعالى:"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[3].

وإليك مجموعة من الحقائق قبل أن نشرع في إبراز الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

أ. لا خلاف بين العلماء جميعًا في أن لفظ القرآن الكريم ومعناه من عند الله تعالى، أنزلهما على الرسول ρ بواسطة الوحي مشافهة ومدارسة.

ب. لا خلاف أيضًا في أن معنى الحديث القدسي من عند الله تعالى، أنزله على الرسول ρ بواسطة الوحي مشافهة أو بوحي الإلهام.

ج. كل ما صدر عن الرسول ρ فمعناه من عند الله تعالى، سواء كان قرآنًا أم حديثًا قدسيًا أم نبويًا، إلا أن القرآن الكريم لفظه من عند الله تعالى، كما أن الحديث النبوي لفظه من عند الرسول ρ.

المطلب الثاني: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي:

1. القرآن الكريم تعبدنا الله تعالى بتلاوته، بخلاف الحديث القدسي.
2. القرآن الكريم كلام الله لفظًا ومعنى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ولفظه من النبي ρ .
3. القرآن معجزة باقية على مر العصور، محفوظة من التغيير والتبديل، بخلاف الحديث القدسي فليس فيه معنى الإعجاز، إذ لم يثبت بشأنه التحدي والإعجاز.
4. القرآن الكريم ثبت بطريق التواتر فهو قطعي الثبوت، أما الحديث القدسي فمنه الصحيح والضعيف والموضوع.

---

(1) تحرير علوم الحديث، للجديع، 37/1 .

(2) لسان العرب، لابن منظور، 168/6، المعجم الوسيط 719/2 .

(3) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 118/4، ح3244 .

5. القرآن لا يضاف إلا إلى الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي فقد يضاف إلي الله، وقد يضاف إلى الرسول ρ؛لأنه المخبر به عن الله عز وجل.
6. القرآن لا تجوز روايته بالمعنى ولا يجوز تبديل حرف بحرف آخر بخلاف الحديث القدسي فيجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدثين[1].
7. القرآن الكريم جاحده كافر، بخلاف الحديث القدسي فجاحده غير كافر.
8. القرآن الكريم لا تجوز الصلاة إلا به، بخلاف الحديث القدسي إذا قرئ شيء منه في الصلاة فأبطلها.
9. القرآن الكريم، الجملة منه تسمى آية وعدد مخصوص من الآيات يسمى سورة، بخلاف الحديث القدسي، فلا تسمى الجملة منه آية، ولا المقدار المخصوص من الجمل منه سورة[2].

(1) فالحديث القدسي في ذلك كشأن الحديث النبوي الذي تجوز روايته بالمعنى بشرط أن يكون الراوي عالمًا بقواعد اللغة العربية، وأن يكون عالمًا بمدلولات الألفاظ ومقاصدها.

ينظر: الكفاية، للخطيب البغدادي، ص259 وما بعدها، أصول السرخسي355/1، الإلماع، للقاضي عياض ص179، المحدث الفاصل، الرامهرمزي، ص 348–350، الرسالة، للشافعي، ص 174، تدريب الراوي، للسيوطي 100/2، نصب الراية للزيلعي، 200/4.

(2) ينظر: بيان المعاني، لابن ملّا حويش، 293/2، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد ص15.

أسئلة للمناقشة

1) عرف علوم القرآن لغة واصحلاحًا، ثم وضح فضله.
2) ما فائدة دراسة علوم القرآن.
3) كان الصحابة على دراية بعلوم القرآن، دلل على ذلك.
4) ما أسباب عدم تدوين الصحابة لعلوم القرآن؟
5) متى ظهر اصطلاح علوم القرآن؟ ومن أول من ألف فيه.
6) ما أهم المصنفات في علوم القرآن الكريم؟
7) عرف القرآن، ثم اشرح التعريف.
8) ماذا تعني كلمة" التواتر" في تعريف القرآن الكريم؟.
9) ما أسماء القرآن الكريم ؟
10) لم سمي القرآن الكريم بهذا الاسم؟
11) اذكر ثلاثة أوصاف للقرآن الكريم مع ذكر الدليل من القرآن الكريم.
12) ما أهم صفات القرآن الكريم، كما ذكرها الله تعالى.
13) اذكر المصطلح العلمي لما يأتي.
14) (.....) بعض قرآن يشتمل على آي، ذو فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات .
15) وضح المراد بالمصطلحات الآتية:
السبع الطوال، المئون، المثاني، المفصل.
16) سميت سورة الفاتحة بأسماء عدة. اذكر خمسة منها.
17) هل تسمية السور القرآنية توقيفي أم اجتهادي؟، وضح آراء العلماء في ذلك مع بيان الراجح.
18) عرف الحديث القدسي، وبيّن وجه تسميته بالقدسي.
19) اذكر خمسة فروق بين الحديثالقدسي والقرآن الكريم.

الفصل الأول: الوحي

المبحث الأول: تعريف الوحي، كيفيته وصوره، إثباته

المطلب الأول: تعريف الوحي:

الوحي لغة: تستعمل كلمة الوحي في اللغة العربية في معنى أعم من مفهومها الشرعي الخاص بالنبوة، حيث تستعمل بمعنى الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك[1] .

وهذا الاتساع في المعنى استخدمه القرآن على النحو التالي:

1 – الإلهام الغريزي: كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ {النحل:68}.

2 – الإلهام الفطري؛ كالوحي إلى أمّ موسى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ.. ﴾ [القصص: 7].

3 – وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان: ﴿..وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ..﴾ [الأنعام: 121].

4 – الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا عليه السلام لقومه: ﴿فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: 11].

5 – وما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: 126].

أما الوحي اصطلاحًا: فهو"إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه [2].

وقيل: إنه الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يوحى إليه، بحيث يخفى على غيره[3].

وقد روعي في وحي الله تعالى إلى أنبيائه، المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما: الخفاء والسرعة، ولهذا فإن معنى الوحي – شرعا– لا يتضمن أكثر من تكليم الله سبحانه لأحد عباده بطريق من طرق الوحي.

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، ج6، ص70، لسان العرب، لابن منظور، ج15، ص379، تاج العروس، للزبيدي، 40/ 169 .

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، 63/1، الواضح في علوم القرآن، مصطفى الديب، ص17، دراسات في علوم القرآن – فهد الرومي، ص177 .

(3) ينظر: الوحي المحمدي ، رشيد رضا ، ص34.

المطلب الثاني: كيفيته وصوره:

ما هي كيفية الوحي الذي يوحى إلى رسول الله ρ؟

إذا كان السؤال عن طبيعة الوحي وذاته، فالإجابة غير متوافرة؛ لأن الوحي نوع من الممارسة الذاتية لم تتوافر إلا للأنبياء، وبالإضافة إلى أن تجربة الوحي روحية خالصة، والروح وما يتصل بها من تجارب ووقائع هي في التصور الإسلامي من أمر الله كما نص القرآن ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 85].

أما كيفيته التي تعني صوره ومظاهره، فهي كما وردت في الصحاح.

قال تعالى: ﴿وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾. الشورى: 51].

فقد ذكرت هذه الآية صور الوحي وهي:

أ . النّفث في روع النبي، أو إلقاء الإلهام في قلبه على صورة غير مشكوك فيها أنها من عند الله. ويروي السيوطي أن رسول الله ρ قال: إن روح القدس كان ينفث في روعه الكلام نفثًا. كما روى أن الله كان يكلمه، كما حدث في ليلة الإسراء والمعراج. (1)

وهذه الصورة تتم بطريقتين:

الأولى: بالإلهام.

قال ρ:" إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ(2).

الثانية: بالرؤيا الصادقة.

ودليلها: قوله تعالى في شأن إبراهيم وولده إسماعيل: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[الصافات: 102].

وكما في حديث عائشة قالت: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ρ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.. (3)

أي تحققت بصورة غاية في الوضوح.

ب . تكليم الله لأنبيائه من وراء حجاب

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 59/1.

(2) مسند الشهاب، القضاعي185/2، والإتقان، للسيوطي، 59/1.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه: بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 7/1،ح3، وكتاب التفسير، سورة العلق، 1894/4، ح4670، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان– باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، 97/1، 160.

ودليل هذه الصورة: قوله تعالى في شأن «موسى» عليه السلام **(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14))** [طه: ٩ – ١٤].

ج . الوحي بواسطة ملك، وله صورتان:

أ . أن يأتيه مثل صلصلة[1] الجرس. ب . أن يتمثل له الملك رجلاً.

روت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ρ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً، فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا[2].

فالأولى: أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض، إن كان راكبها.

والثانية: أن يأتيه جبريل ويتمثل له رجلاً، فيخاطبه.

وكان جبريل عليه السلام يأتيه أحيانًا في صورة دحية بن خليفة الكلبي. وكان رجلاً جميلاً وسيما، وفي هذه الحالة كان يراه الصحابة أحيانًا.

وقد يرى الملك في صورته التي خلقه الله عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع مرتين كما ذكر الله سبحانه في سورة النجم وفي سورة التكوير، ففي صحيح مسلم عن مسروق قال: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ρ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ.

---

(1) قال الخطابي: وهو صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد. الإتقان، للسيوطي، 59/1.

(2) صحيح البخاري، بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ρ،6/1، ح2، ومسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البرد وحين يأتيه الوحي، 82/7، ح2333 .

قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)[التكوير: 23] (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى) [النجم: 13].

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ، سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ρ، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ.

فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[الأنعام: 103] ، أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول:(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) [الشورى: 51]؟

قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: **(يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ)** [1][المائدة، الآية 67].

المبحث الثاني: إثبات وإمكان ظاهرة الوحي.

المطلب الأول: هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟

إن الإيمان بذلك يقتضي أولاً: الإيمان بالله الخالق وبعالم الغيب، ومن ثم كان من البدهي أن الجاحدين لوجود الخالق، المفسرين لوجود الكون تفسيرًا ماديًا أزليًا ينكرون عالم الغيب، ومن ثم ينكرون إمكان الاتصال به؛ لأنه عندهم حديث خرافة وأساطير ووهم لا حقيقة وراءه.

ويصور القرآن الكريم فكرتهم والحياة في قوله تعالى:(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ)[الجاثية: 24].

ولم تخرج دعوى المنكرين للوحي على مرّ العصور عن مجمل ذلك، وذلك لأنهم حصروا أفكارهم في الوجود المادي الذي يعايشونه.

وقد تعرض المنكرون للوحي وإمكانه على اختلاف عصورهم واتجاهاتهم إلى مختلف مظاهر الوحي وآثاره بمحاولة تفسيرها على نحو مادي يتمشى مع ما يؤمنون به من حصر الوجود والعلم به في هذا الكون المادي وفي عالم الحس الذي يعايشونه.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: {ولقد رآه نزلة أخرى} 159/1، ح287 .

المطلب الثاني: أدلة إمكان الوحي وتقريبه للعقول:

1- "تقرر بوثوق: أن الوحى القرآني بإعجازه هو بنفسه دليل عقلي على مصداقيته، وذلك بما توافر له من براهين إعجازه بعد التحدي به وإعلان عجز الثقلين عن الإتيان بمثله، وصدق الله القائل في كتابه المعجز:(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[الإسراء: 88].

2 . إن المعاصرين للوحي شاهدوا مظاهره، ونُقِلَ بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة، ولمست الإنسانية أثره في حضارة أمته، وقوة أتباعه، وعزتهم ما استمسكوا به، وانهيار كيانهم وخذلانهم ما فرَّطوا في جنبه، مما لا يدع مجالاً للشك في إمكان الوحي وثبوته. وضرورة العودة إلى الاهتداء به إطفاء للظمأ النفسي بِمُثُلِهِ العليا، وقيمه الروحية.

العلم يؤكد إمكان الوحي:

1 . توصل العلم الحديث إلى اختراع أجهزة حديثة تنقل الصوت، أو الصوت والصورة عبر المسافات البعيدة بدقة عالية(كوسائل الاتصالات المختلفة، والمذياع، والتلفاز، وغيرها)، فيكلّم الإنسان من في أقصى الأرض، ويسمع كلامه، ولا يسمع الحاضرون شيئًا، ولا يستطيع أحد من الحاضرين أن ينكر ذلك، فإذا كان هذا من صنع الإنسان على عجزه، أفنستبعد بعد ذلك على الله- تعالى- أن يُعلم خواص عباده بما شاء من وحيه؟؟

2 . استطاع العلم أيضا أن يملأ بعض اسطوانات من الجماد الجامد بأصوات وأنغام وبقرآن وكلام، على وجه يجعلها حاكية له بدقة وإتقان، وبين أيدينا من ذلك شيء كثير لا سبيل إلى إنكاره يسمونه بالفونغراف.

أبعد هذه المخترعات القائمة يستبعد على القادر تعالى بوساطة ملك ومن غير وساطة ملك أن يملأ بعض نفوس بشرية صافية من خواص عباده بكلام مقدس[1].

المطلب الثالث: بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى، وليس للنبي ρ من أمر الوحي شيء:

1 . كانت تنزل بالنبي ρ نوازل يتطلب لها حلاً، وكذلك كل من حوله، ولكنه لا يجد في شأنه قرآنًا يقرؤه على الناس.

ومن هذه النوازل والأزمات حديث الإفك عن زوجته السيد المصونة عائشة رضي الله عنها، فقد أبطأ الوحي، وطال الانتظار والناس يخوضون في هذا الحديث المؤذي، ويلوكون عرض النبي النقي، حيث بلغت القلوب الحناجر، وهو لا يستطيع أن ينهي هذه المشكلة، ويحسم

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني،69/1، النبأ العظيم، د. محمد عبد الله،104، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، ص88 .

هذا الموضوع، ومضى شهر بأكمله أو أكثر، وهو ينتظر خبر السماء، وما زاد على أن قال لها آخر الأمر" يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ"[1].

هذا كلام رجل من البشر لا يعلم الغيب، وكلام المتثبت الذي لا يتبع الظن ولا يقول ما ليس له به علم، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات، حتى نزل صدر سورة النور معلنًا براءتها ومصدرًا الحكم المبرم بشرفها وطهارتها.

فماذا كان يمنعه – لو أن أمر القرآن إليه – أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي بها عرضه، ويذب بها عن عرينه، ويقطع بها ألسنة القاذفين المتخرصين وينسبها إلى الوحي؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

2. وفي مرات أخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه ويخطئه في الرأي يراه، ويأذن له في الشيء الذي لا يميل إليه، فمن ذلك قوله تعالى:(**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**)[التوبة: 43] ، وقوله تعالى:(**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**)[التوبة: 42] .

لو كانت هذه المعاتبات المؤلمة صادرة عن وجدانه، معبرة عن ندمه حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه: أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل؟ ألم يكن له في السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟؟[2].

---

(1) ينظر حديث الإفك في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، 116/5، ح4141، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، 112/8، ح2770 .

(2) النبأ العظيم، دراز، 53–54 .

أسئلة للمناقشة

1) يطلق الوحي في اللغة على معان عدة اذكرها .
2) ما معنى الوحي في الآيات التالية؟

قال الله تعالى:(**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ)** [القصص: 7] ، وقال الله تعالى: (**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ)** [الأنعام: 121]، وقال الله تعالى:(**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)** [مريم: 11]، قال الله تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ)** [الأنفال: 126].

3) عرف الوحي اصطلاحًا، ثم بيّن صوره.
4) ما معنى صلصلة الجرس؟
5) ما أشد حالات الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم.
6) هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟
7) اذكر أدلة إمكانية الوحي.
8) اذكر بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى، وليس للنبي ρ من أمر الوحي شيء.

الفصل الثاني: نزول القرآن

مقدمة:

العلم بنزول القرآن من أهم المباحث، فهو أساس الإيمان بالقرآن و أصل لسائر المباحث القرآنية، فهو أساس البناء.

معنى النزول:

في سورة الإسراء قال الله تعالى:(**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)** [الأسراء: 105]، وقال:(**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)**[المؤمنون: 29].

ويطلق النزول –لغة– على انحدار الشيء من علو إلى أسفل. ولكن معنى الحلول في المكان والإيواء والانحدار، لا يليق إرادته هنا في إنزال القرآن الكريم؛ لأن القرآن ليس جسمًا.

وعلى ذلك فالإنزال معناه، الإعلام. قال ابن كثير: يقول الله تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل، أي: متضمنا للحق.. ومتضمنًا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه.. بل وصل إليك بالحق، فإنه نزل به شديد القوى، الأمين المكين المطاع.. [(1)].

المبحث الأول: تنزلات القرآن:

المطلب الأول: التنزيل الأول:

إلى اللوح المحفوظ، ودليل ذلك قوله جل شأنه :(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)) [البروج21–22]. واللوح المحفوظ هو السجل الجامع لكل ما قضى الله وقدّر، وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين .

وأهمية هذه المرحلة تبرز في دلالة الإيمان بهذا اللوح، فهو مظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله عز وجل، ولا ريب أن الإيمان به يقوى إيمان العبد بربه، كما يحمل الناس على السكون والرضا تحت سلطان القدر والقضاء، وصدق الله العظيم إذ يقول:(بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)) [البروج21–22].

(1) لسان العرب، لابن منظور،656/11، المصباح المنير، للفيومي، ص309، المعجم الوسيط 915/2، تفسير ابن كثير 68/3.

المطلب الثاني: التنزيل الثاني:

كان هذا التنزيل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة.

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[الدخان: 3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[لقدر: 1].

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾[البقرة: 185].

دلت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة، توصف بأنها مباركة، وتسمى (ليلة القدر) وهي من ليالي رمضان، ويتعين أن يكون هذا النزول هو النزول الأول إلى بيت العزة في السماء؛ لأنه لو أريد به النزول الثاني على النبيρ لما صح أن يكون في ليلة واحدة، وفي شهر واحد هو (شهر رمضان)؛ لأن القرآن إنما نزل في مدة طويلة (ثلاثة وعشرين عامًا) ونزل في غير رمضان في جميع الأشهر، فتعين أن يكون المراد به (النزول الأول) وقد جاءت الأخبار الصحيحة تؤيد مكان النزول في بيت العزة من السماء الدنيا:

أ. عن ابن عباس τ أنه قال: فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ ρ، وَيُرَتِّلُهُ تَرْتِيلاً [(1)].

وعن ابن عباس τ أنه قال:" أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَانَ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ، وَكَانَ اللهُ يُنْزِلُهُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ρ بَعْضَهُ فِي أَثَرِ [(2)].

ج. وروى عن ابن عباس τ أنه قال:" أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ نُجُومًا"[(3)] قوله نجومًا: أي أجزاء متفرقة.

حكمة نزوله إلى بيت العزة جملة:

قال السيوطي: "ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله(أي: القرآن) إليهم منجمًا بحسب الوقائع لهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله سبحانه باين

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم،667/2، ح4216، وقال:"صحيح الإسناد ولم يخرجاه "، ووافقه الذهبي، وينظر الإتقان، للسيوطي، 53/1.

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم، 242/2، ح2878، وقال:" «هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وينظر الإتقان، للسيوطي، 53/1.

(3) المعجم الأوسط، للطبراني، 131/2، ح1479، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 140/7:"فيه عمران القطان، وثقه ابن حبان وغيره وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات". وينظر الإتقان، للسيوطي، 53/1.

(أي خالف) بينه وبينها(أي: التوراة والإنجيل)، فجعل له أمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقا، تشريفًا للمنزل عليه" [1].

(1) الإتقان، للسيوطي، ص 54،55.

المطلب الثالث: التنزيل الثالث:

وأما التنزيل الثالث فقد كان من السماء الدنيا على قلب النبي ρ منجمًا (أي: مفرقا) في مدة ثلاث وعشرين سنة وهي المرحلة الأخيرة التي شع منها النور على العالم، وهي من حين البعثة إلى حين وفاته صلوات الله وسلامه عليه وكان هذا النزول بواسطة جبريل، ودليل ذلك قوله تعالى:(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥].

وكان من وراء نزول القرآن منجما أهداف، نستعرضها *في المبحث التالي*.

المبحث الثاني: نزوله منجمًا

المطلب الأول: أدلة نزول القرآن منجمًا .

والدليل على هذا النزول وأنه نزل منجمًا قول الله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا) [الإسراء: 106].

وقوله تعالى:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32))[الفرقان: 32].

روي أن اليهود والمشركين عابوا على النبي ρ نزول القرآن مفرقا، واقترحوا عليه أن ينزل جملة واحدة حتى قال اليهود له: يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى، فأنزل الله هاتين الآيتين ردًا عليهم[1]، وهذا الرد –كما يقول الزرقاني– يدل على أمرين:

أحدهما: أن القرآن نزل مفرقًا على النبيρ.

والثاني: أن الكتب السماوية من قبله نزلت جملة، كما اشتهر ذلك بين جمهور العلماء حتى كاد يكون إجماعًا.

ووجه الدلالة على هذين الأمرين: أن الله تعالى لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة، بل أجابهم ببيان الحكمة من نزول القرآن مفرقًا، ولو كان نزول الكتب السماوية مفرقًا كالقرآن لرد عليهم بالتكذيب، وبإعلان أن التنجيم هو سنة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل، كما رد عليهم حين طعنوا على الرسول وقالوا:"ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في

(1) تفسير ابن أبي حاتم 2689/8، ح15127 .

الأسواق" رد عليهم بقوله: **(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا)** [الفرقان: ٢٠] [1].

المطلب الثاني: الحكمة من نزول القرآن منجمًا:

ولنزول القرآن الكريم منجمًا حكم جليلة، وأسرار عديدة[2]. نستطيع أن نجملها فيما يأتي وهي:

الحكمة الأولى: وهي (تثبيت فؤاد النبي ρ) فقد ذكرتها الآية الكريمة في معرض الرد على المشركين، حين اقترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السماوية السابقة فرد الله عليهم بقوله:(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) [الفرقان: ٣٢]، وتثبيت قلب النبي ρ إنما هو رعاية من الله، وتأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له وإيذائهم الشديد له ولأتباعه. فقد كانت الآيات الكريمة تنزل على رسول الله ρ (تسلية) له وشحذا لهمته للمضي في طريق الدعوة مهما اعترضته المصاعب والشدائد، وتقوية لقلبه الشريف، فقد تعهده الله سبحانه وتعالى بما يخفف عنه الشدائد والآلام فكان إذا اشتد الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له وتخفيفًا عما يلقاه، وكانت التسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء والمرسلين ليقتدي بهم في صبرهم وجهادهم كما قال تعالى:(**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**)[الأنعام: 34].

وتارة تكون التسلية عن طريق إخبار الرسول باندحار أعدائه وانهزامهم كما في قوله تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**﴾ [القمر: 45]، وقوله:(**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**)[آل عمران: 12]، إلى آخر ما هنالك من ألوان التخفيف عن قلب الرسول، وتطييب نفسه وفؤاده، ولا شك أن في تجدد نزول الوحي، وتكرر هبوط الأمين جبريل بالآيات البينات، التي فيها تسلية للنبي ρ وفيها الوعد بالنصر والحفظ والتأييد، كان لها أعظم الأثر في تثبيت قلب الرسول لمتابعة الدعوة، والمضي في تبليغ الرسالة الإلهية؛ لأن الله معه، وهل يشعر بالخذلان والفتور من كانت عناية الله تحوطه وعينه ترعاه؟

الحكمة الثانية وهي (التلطف بالنبي ρ) عند نزول الوحي، فقد كانت بسبب روعة القرآن وهيبته، كما قال تعالى:(**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**)[المزمل: 5]، فالقرآن –كما هو مقطوع به– كلام الله المعجز، الذي له جلال ووقار، وهيبة وروعة وهو الكتاب الذي لو نزل على جبل لتفتت وتصدع من هيبته وجلاله كما قال تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[الحشر: 21]، فكيف إذن بقلب النبي الرقيق، هل يستطيع أن يتلقى جميع القرآن

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني،53/1 .

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، 53/1، المحرر في علوم القرآن، لمساعد الطيار ص76، دراسات في علوم القرآن للرومي، ص208 علوم القرآن الكريم، عتر، ص25 .

دون أن يتأثر ويضطرب ويشعر بروعة القرآن وجلاله!! ولقد أوضحت السيدة عائشة حال الرسول حين ينزل عليه القرآن، وما يلاقيه من شدة وهول من أثر التنزيل فقالت:" يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ (أي ينفصل) عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا"[1].

الحكمة الثالثة وهي (التدرج في التشريع) فهي جلية واضحة، حيث سلك القرآن الكريم مع البشرية –وخاصة منهم العرب– طريق الحكمة ففطمهم عن الشرك، وأحيا قلوبهم بنور الإيمان، وغرس في نفوسهم حب الله ورسوله، والإيمان بالبعث والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة – مرحلة تثبيت دعائم الإيمان– إلى العبادات فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة، ثم ثنى بالصوم وبالزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم ختم بالحج في السنة السادسة منها، وكذلك فعل في العادات المتوارثة. زجرهم أولاً عن الكبائر، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلاً في نفوسهم كالخمر والربا والميسر، تدرجًا حكيمًا، استطاع بذلك أن يقتلع الشر والفساد من جذوره اقتلاعًا كاملا.

الحكمة الرابعة: فهي (مسايرة الحوادث والوقائع في حينها) والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعي إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق (الدرس العملي) فكلما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حدث منهم خطأ أو انحراف، نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي فعله وما ينبغي تركه، ويبين لهم مواطن الخطأ في ذلك، خذ مثلاً على ذلك (غزوة حنين) فقد دخل الغرور إلى نفوس المسلمين، وقالوا قولة الإعجاب والاغترار لما رأوا عددهم يزيد على عدد المشركين أضعافًا مضاعفة، حينذاك داخلهم العجب فقالوا: (لن نغلب اليوم من قلة) وكانت النتيجة انكسارهم وانهزامهم وتوليتهم الأدبار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25))[التوبة: 25]، ولو أن القرآن نزل جملة واحدة لما أمكن التنبيه على الخطأ في حينه، إذ كيف يتصور أن تنزل الآيات في شأن المؤمنين واغترارهم ولم تحدث بعد تلك الواقعة أو الغزوة؟ وكذلك الحال في أخذ الفداء من الأسرى في (بدر) حيث نزل التوجيه السماوي الرائع:(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)[الأنفال: 67].

الحكمة الخامسة: (الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل الحكيم الحميد) وفي هذه الحكمة الجليلة يجدر بنا أن ننقل نص ما كتبه الشيخ (محمد عبد العظيم الزرقاني) في كتابه:"مناهل العرفان" حيث جاء برائع البيان فقال رحمه الله تعالى: (الإرشاد إلى مصدر القرآن،

---

(1) يتفصد عرقًا – يعنى: يسيل عرقًا، ومنه الفصد: قطع العرق . شرح صحيح البخارى لابن بطال 51/1، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، بدء الوحي 6/1، ح2.

وأنه كلام الله وحده، وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد ρ ولا كلام مخلوق سواه.. وبيان ذلك: أن القرآن الكريم نقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه، كأنه سبيكة واحدة، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل، كأنه سمط وحيد، وعقد فريد، يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته، ونسقت جمله وآياته.. وهنا نتساءل: كيف اتسق القرآن هذا التأليف المعجز؟ وكيف استقام له هذا التناسق المدهش؟ على حين أنه لم يتنزل جملة واحدة، بل تنزل آحادًا مفرقة تفرق الوقائع والحوادث في أكثر من عشرين عامًا!!

المطلب الثالث: *ملاحظة على مدة التنزيل:*

تتابع الوحي إلى رسول الله ρ بالقرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة تقريبًا: هي الفترة ما بين بدء الوحي ووفاته ρ في السنة الحادية عشرة للهجرة[1] وذلك في أرجح الروايات؛ لأنه ρ مكث بمكة –قبل أن يهاجر إلى المدينة– ما يقرب من ثلاث عشرة سنة. ثم أقام بالمدينة بعد الهجرة قرابة عشر سنين حتى توفي. ويتفق الرواة على أن رسول الله ρ أقام بالمدينة عشر سنين لكن هناك شيئًا من الخلاف في الفترة التي أقامها بمكة بعد بدء الوحي إليه، هل هي عشر سنين، أم ثلاث عشرة، أم خمس عشرة سنة، ونحن وإن كنا رجحنا فترة الثلاث عشرة سنة –تبعًا لأكثر العلماء– فإننا نشير إلى أنه ليس لهذا الاختلاف في الرواية أي نتيجة عملية فيما يتصل بآيات القرآن والتاريخ المبكر للدعوة الإسلامية؛ لأن كلا من الفترات الثلاث المروية في إقامته بمكة بعد البعثة تتسع لنزول القرآن المكي الذي نزل بها، كما تتسع لكل الأحداث التي مرت بالدعوة الإسلامية وبرسول الله ρ في مكة قبل الهجرة.

ولو كان لهذا الخلاف الزمني أي نتيجة عملية تتصل بالوحي وآيات القرآن ولو أنه كان يمكن الوصول فيه إلى يقين أو ما يشبه – لعرضنا له بالتفصيل والاستدلال. على أن هناك دلائل قوية ترجح ما انتهينا فيه وهو فترة الثلاث عشرة سنة.

وأيا ما كان الأمر، فقد تتابع الوحي على رسول الله ρ حتى قبيل وفاته.

المطلب الرابع: بين العبرة من نزول القرآن منجمًا والواقع المعاصر:

وإذا كان لنا أن نأخذ العبرة من مراعاة الوحي لظروف البيئة وعاداتها في التدرج في التشريع على النحو السابق، فإننا يجب أن ننتهي إلى أن أية دعوة إلى إعادة تطبيق التشريع

---

(1) ينظر: التقويم العربي قبل الإسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته، العلامة محمود باشا الفلكي، وينظر: مدخل إلى الدراسات الإسلامية د. محمد بلتاجي، ص 155 وما بعدها.

الإسلامي على حياة المسلمين في كل مجالاتها يجب أن تضع في اعتبارها عاداتهم التي عايشتها أجيالهم المتتابعة والتي بعدت عن الأوضاع الإسلامية الخالصة، بحيث أصبح من التفكير غير الواقعي أن يتصور إنسان أنه يستطيع إرجاع هذه العادات والأوضاع والأخلاق وأنماط السلوك والتفكير إلى أحكام التشريع الإسلامي بكلمة واحدة وقرار واحد، يفجأ الناس ويفرض عليهم في لحظة واحدة فينصاعون له جميعًا راضين أو ساخطين، إنما الأمر في الحقيقة يحتاج إلى إصلاح عقائد الناس أولاً، وإقناعهم بطرح ما فيها من زيف وضلال. وبعد أن تخلص العقيدة من كل ما يشوبها فإنه يصبح من الممكن بطريق تدريجي تراعى فيه الغاية المقصودة – كما تراعى فيه سيطرة العادات المتحكمة على النفوس– ترويض عادات الناس، بتهيئة الظروف الملائمة التي يقتنعون بها – في مجموعهم– بوجوب تحكيم مفاهيم الإسلام الخالصة في شتى مجالات حياتهم، وتحقيق هذه المفاهيم– حين تطبق بصورة سليمة – لكل ما يهدف إليه الإنسان في حياته الأولى والآخرة من خير وكفاية وسلام نفس وطمأنينة، وإذا صلحت نيات القائمين على ذلك وصح تفكيرهم وإخلاصهم، وتوفرت لهم ظروف ملائمة اقتنع جمهور الناس فيها بهذا الإخلاص ورضوا عنه، فإن هذا التحول نحو الإسلام الخالص في العقيدة والعمل سوف يتحقق بصورة أسرع مما يتصور أكثر الناس تفاؤلاً في هذا الأمر؛ لأن أحكام الإسلام ملائمة تمامًا لفطرة الناس الأصلية التي خلقهم الله عليها، وما تزال بذرة الإسلام حية في نفوس الناس. إن تطبيق الشريعة الإسلامية لا بد أن يبدأ، فالقرآن بدأ بتثبيت العقيدة أولاً ثم جاء دور الأحكام فأنعم به من كتاب دستور حياة وطريق مستقيم.

المبحث الثالث: معرفة أول وآخر ما نزل، وفوائده:

المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن على الإطلاق:

للعلماء في ذلك أقوال عدة، نجملها فيما يلي:

القول الأول: أن أول ما نزل من القرآن سورة (العلق)، وهو قول(ابن عباس، علي، وعائشة، وابن الزبير، وعبيد بن عمير، وعطاء بن يسار، ومحمد بن عباد بن جعفر، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري وعكرمة، ومجاهد، والزهري)[1].

دليله: أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة زوج النبي ε قالت: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ρ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ

(1) تفسير الطبري521/24، تفسير السمعاني255/6،تفسير البغوي 4 /506، زاد المسير، لابن الجوزي: 175/9، تفسير القرطبي 118/20، الإتقان، للسيوطي74/1 .

أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4))الآيات إلى قوله (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ١ – 5](1)... الحديث.

القول الثاني: أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى:(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) [المدثر: 1].

دليله: ما أخرجه الشيخان(2) عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل أول؟ فَقَالَ: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) فَقُلْتُ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق: 1] فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلُ؟ فَقَالَ: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) فَقُلْتُ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) فَقَالَ: لا أُخْبِرُكَ إِلا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي، هَبَطْتُ، فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِيَ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ: (يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [المدثر: 1–3]..

وهذا القول لم يحظ بقبول من العلماء فقد أجاب عنه العلماء بعدة بأجوبة عدة منها:

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، سورة العلق، 1894/4، ح4670 .

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة المدثر، باب وربك فكبر1875/4، ح4640، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى الرسول ε 1 /143، ح257 . واللفظ للبخاري.

الأول: قد جاءت عبارات وشواهد في روايات أخرى من قول جابر نفسه ترد هذا القول وهي قوله"..وهو يحدث عن فترة الوحي"، وقوله:" فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ.." (1) ففي هذه العبارات دلالة على أن سورة المدثر ليست أول ما نزل.

الثاني: أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، لا أولية مطلقة.

الثالث: أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار، وعبر بعضهم عن هذا بقوله: أول ما نزل للنبوة:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) وأول ما نزل للرسالة :(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

الرابع: أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم، وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب وأما [اقْرَأْ] فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم، ذكره الحافظ ابن حجر.

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة المدثر، باب وثيابك فطهر، 6/ 162، ح4925.

الخامس: أن جابرًا τ استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته، فيقدم عليه ما روته عائشة رضي الله عنها[1].

القول الثالث: أول ما نزل من القرآن هو سورة" الفاتحة".

قال الإمام الزمخشري:" أكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم"[2].

دليل هذا القول:

ما أخرجه البيهقي في الدلائل عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله قال لخديجة: إِذَا خَلَوتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الأَرْضِ" فَقَالَ:–ورقة– لا تَفْعَلْ، فَإِذَا أَتَاكَ فَاثْبُتْ حَتَّى تَسْمَعَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي، فَلَمَّا خَلا نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ قُلْ: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: 2] حَتَّى بَلَغَ {وَلا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]"[3]. قال الإمام البيهقي:" إن كان محفوظًا يحتمل أن يكون خبرًا عن نزولها بعدما نزلت عليه اقرأ والمدثر"[4] .

وهذا القول لم يحظ بالقبول من العلماء.

قال الحافظ ابن حجر:" وأما الذي نسبه – أي الزمخشري – إلى الأكثر، فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول" [5].

وقال الإمام الصالحي:" وشذ صاحب الكشاف فقال: إن أكثر المفسرين على أن أول سورة نزلت الفاتحة. وهذا وهم بلا شك"[6].

وقال الشيخ الزرقاني:" هذا الحديث لا يصلح للاحتجاج به على أولية ما نزل مطلقا وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه لا يفهم من هذه الرواية أن الفاتحة التي سمعها الرسول ε كانت في فجر النبوة أول عهده بالوحي الجلي، وهو في غار حراء، بل يفهم منها أن الفاتحة كانت بعد ذلك العهد، وبعد أن أتى الرسول إلى ورقة وبعد أن سمع النداء من خلفه غير مرة وبعد أن أشار عليه ورقة أن يثبت عند هذا النداء حتى يسمع ما يلقى إليه، وليس كلامنا في هذا إنما هو فيما **نزل أول مرة.**

---

(1) فتح الباري، لابن حجر، 678/8، الإتقان، للسيوطي1/75–76، مرقاة المفاتيح، للقاري526/10، مباحث في علوم القرآن، للقطان،ص67 .

(2) الكشاف، للزمخشري4 /781 .

(3) دلائل النبوة، للبيهقي،158/2، الإتقان، للسيوطي،76/1، قال الحافظ السيوطي: " مرسل، رجاله ثقات .

(4) المصدر السابق76/1 .

(5) فتح الباري، لابن حجر، 714/8 .

(6) سبل الهدى والرشاد، للصالحي،2 /241 .

الثاني: أن هذا الحديث مرسل، سقط من سنده الصحابي فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق في بدء الوحي وهو مرفوع إلى النبي ε، فبطل إذًا هذا الرأي الثالث وثبت الأول أيضا[1].

القول الراجح: هو القول الأول القائل: إن أول ما نزل سورة العلق لقوة أدلته، وسلامته من الاعتراض.

قال الإمام النووي:" أول ما نزل من القرآن اقرأ وهذا هو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف" [2].

وقال الإمام البغوي[3] والإمام الخازن[4]:" أكثر المفسرين على أن هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن"

المطلب الثاني: آخر ما نزل:

اختلف العلماء في آخر ما نزل من القرآن على أقوال هي:

1. أن آخر ما نزل آية الدين وهي قوله تعالى**:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)** [البقرة: 282]، ودليله ما أخرجه الإمام الطبري عن سعيد بن المسيب:"أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ أَحْدَثَ الْقُرْآنِ بِالْعَرْشِ آيَةُ الدَّيْنِ"[5].
2. أن آخر ما نزل قول الله تعالى **(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) (** [البقرة: 281] وهو قول ابن عباس، فقد أخرج الإمام النسائي عن ابن عباس قال: آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ**(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)** [6].
3. أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى**(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**[البقرة: 278].

أخرج الإمام البخاري قال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ρ آيَةُ الرِّبَا[1].

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، ج1، ص69 .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم: ج2، ص199 .

(3) تفسير البغوي: ج4، ص506 .

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: ج7، ص267

(5) تفسير الطبري، 41/6، ح6316، وإسناده ضعيف لإرساله؛ إذ لم يذكر ابن المسيب من حدثه به.

(6) السنن الكبرى للنسائي: كتاب التفسير، قوله تعالى: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله. 6/ 07، ح11057 .

4. أن آخر آية نزلت قوله تعالى: **(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)** [النساء: 176]. ودليله ما رواه البراء τ قال: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ :**(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)** وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ[2].

القول الراجح: بالنظر إلى الأقوال السابقة يتبين لنا:

أولاً: أن القول الأول القائل: إن آخر ما نزل هو آية الدين، قول مردود لضعفه.

ثانيًا: وأما قول من قال: إن آخر ما نزل (يستفتونك)، فمراده آخر آية في المواريث[3]، فهي آخرية مقيدة لا مطلقة.

قال الزرقاني:" يمكن نقض هذا الاستدلال بحمل الخبر المذكور على أن الآية آخر ما نزل في المواريث وأن السورة آخر ما نزل في شأن تشريع القتال والجهاد فكلاهما آخر إضافي لا حقيقي[4].

ثالثًا: أما الأقوال الأخرى فللعلماء فيها رأيان:

الأول: هو الجمع بين هذه الأقوال:

قال السيوطي: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات؛ لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف؛ ولأنها قصة"[5].

القول الثاني: هو الترجيح بينها:

إن أرجح هذه الأقوال هو قول من قال: إن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى [وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ] {البقرة آية281}.

---

(1) المراد بها قوله تعالى: **{يَاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}**، والحديث في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ص32/6، 4544.

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير سورة براءة، 1709/4، ح4377 .

(3) ينظر: فتح الباري لابن حجر، 205/8، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، للكوراني، 46/8، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، للسنيكي، 446/7، .

(4) مناهل العرفان، للزرقاني، 99/1 .

(5) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 102/1.

قال الشيخ الزرقاني: أقول ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [البقرة: 281] وذلك لأمرين:

أحدهما: ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها.

ثانيهما: التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة على أن النبي عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله[1].

قلت: الذي تميل إليه النفس هو الجمع بين قول من قال: إن آخر ما نزل آية الربا، وقول من قال: إن آخر ما نزل آية:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ)؛ لأنها متصلة بآية الربا اتصالاً تامًا، وأن القولين مرويان عن ابن عباس.

وقد تنبه إلى ذلك الإمام البخاري فقد ترجم لحديث ابن عباس في آية الربا بقوله باب: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) [2].

قال الحافظ ابن حجر:" ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه وجاء عنه من وجه آخر، آخر آية نزلت على النبي ρ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله"[3].

المطلب الثالث: أوائل موضوعية.

تناول العلماء أوائل ما نزل بالنسبة إلى موضوعات خاصة، ومن ذلك:

أول ما نزل في الأطعمة:

آية الأنعام:(**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[الأنعام: 145].

ثم آية النحل:(**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [النحل: 114:115].

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 1/ 99، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن،عبد الجواد خلف ص181، مناهل العرفان، للزرقاني، 70/1.

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب: واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله. 32/6، 4544.

(3) فتح الباري، لابن حجر، 8/ 205 .

ثم آية البقرة:(**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [البقرة: 173].

ثم آية المائدة:(**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [المائدة: 3].

أول ما نزل في الخمر:

آية البقرة: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)** [البقرة: 219].

ثم آية النساء:(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ)**[النساء: ٤٣].

ثم آية المائدة: **(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)** [المائدة: 90-91].

أول ما نزل في القتال:

قال ابن عباس: أول آية نزلت في القتال(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**)[الحج: ٣٩] **(1)**.

فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل:

1 . بيان العناية الكبرى التي نالها القرآن الكريم، حيث قام علماء الأمة وعلى رأسهم الصحابة الكرام بالضبط والصيانة للقرآن الكريم، حرفًا حرفًا وآية آية، فوعوا حروف القرآن وآياته، وأماكن نزوله، وكان من ثمار ذلك أن سلم القرآن من التحريف والتبديل مصداقًا لقوله تعالى:**(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[الحجر: 9].

2 . الوقوف على أسرار التشريع، فلقد نزل القرآن الكريم لمعالجة الأمراض التي توغلت في النفوس البشرية، ونجح القرآن في انتزاع هذه الأمراض والقضاء عليها بأرقى الأساليب التي عرفتها البشرية، واستطاع بمنهجه الحكيم الترقي بالبشرية إلى الكمال، حتى تستقيم الحياة البشرية على المحجة البيضاء.

---

(1) لم نذكر جميع الروايات ، واكتفينا بالبعض، وعلى من يريد الاستزادة فليراجع الموضوع في: مناهل العرفان، للزرقاني، ج1، ص71.

3 . تمييز الناسخ من المنسوخ: فقد ترد الآيتان أو الآيات في موضوع واحد، ويختلف الحكم في إحداهما عن الأخرى، فإذا عرف ما نزل أولاً وما نزل آخرًا، كان حكم ما نزل ناسخًا لحكم ما نزل أولاً.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية، والأحرف السبعة

المطلب الأول: تعريف القراءات، وعلاقتها بالقرآن

أولا: تعريف القراءات لغةً: جمع قراءة، وهي مصدر: قرأ قراءةً وقرآنًا، بمعنى: تلا تلاوةً، وهي في الأصل بمعنى: الجمع والضم. تقول: قرأت الماء في الحوض، أي: جمعته فيه، وسُمِّي القرآن قرآنًا، لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض[1].

ثانيا: تعريف القراءات اصطلاحًا، ومكانتها:

قال العلامة ابن الجزري –رحمه الله–: هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوًا لناقلها[2]. وإن شرف العلوم من شرف موضوعها، وموضوع علم القراءات كتاب الله تعالى الذي **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت: 42]، لذا فإن هذا العلم من أشرف العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا.

ثالثا: علاقتها بالقرآن الكريم:القرآن والقراءات حقيقتان بمعنًى واحد؛ لأن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة. إذن فهما حقيقتان بمعنًى واحد، كما أن أحاديث نزول القرآن على الأحرف السبعة تدل دَلالة واضحة على أنه لا فرقَ بينهما"[3].

الدليل على ذلك:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب: أن النبي ε كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ[4]. قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ

---

(1) لسان العرب، لابن منظور،، 130/1، مادة(قرأ) مختار الصحاح، الرازي، ص220 مادة (قرأ) .

(2) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ص9 .

(3) جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، لعبد القيوم السندي، ص13، موسوعة علوم القرآن، عبد القادر منصور، ص196 .

(4) وأضاة بني غفار هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث، وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لأنهم نزلوا عنده. فتح الباري، لابن حجر، ج9، ص28.

وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا[1].

يتضح من هذا الحديث أنه لا فرق بين القرآن والقراءات، وأن كلاهما وحي من الله تعالى.

المطلب الثاني: أقسام القراءات، وأركان القراءة الصحيحة، و هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة:

أولا: أقسام القراءات:

1 . متواترة، وهي التي تتوافر فيها أركان القراءة الصحيحة.

2 . شاذّة، وهي التي فقدت ركنًا من أركان القراءة الصحيحة.

ثانيا: أركان القراءة الصحيحة:

وضع العلماء أركانًا للقراءة، وذلك للتمييز بين القراءات الصحيحة والشاذة، وهي:

1 . صحة سندها بالتواتر إلى رسول الله ρ من أول السند إلى آخره.

بأن يرويها عدول ضابطون عن مثلهم من أول السند إلى آخره من غير شذوذ ولا علة قادحة.

2 . موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

إن موافقة الرسم قد تكون تحقيقا أو تقديرا، كما في قوله تعالى :"مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ""الفاتحة: 4» [فقراءة حذف الألف "ملك" لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة وأبي جعفر. هذه القراءة تحتمل اللفظ تحقيقا.

وقراءة "مالِكِ" لعاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره تحتمل إثبات الألف تقديرا.

وقد تكون القراءة ثابتة في المصاحف العثمانية دون بعض ومثال ذلك الآية من سور التوبة :وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ]التوبة: 100.[

قرأ ابن كثير المكي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ بزيادة) من (وهي ثابتة في المصحف المكي دون غيره من المصاحف.

(1) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، 562/1، ح274 .

مثال ذلك قراءة ابن عامر: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) البقرة: ١١٦] بغير واو، في المصحف الشامي فقط[1]، وفي بقية المصاحف بالواو ،فلو كانت مخالفة لرسم جميع المصاحف العثمانية،لحكم بشذوذها.

3 . موافقة اللغة العربية ولو بوجه.

سواء أكان هذا الوجه مجمعا عليه، أم مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله مع قوته، ولا يشترط في قبول القراءة أن تكون موافقة لأفصح الأوجه، أو لوجه مجمع عليه بين النحاة، ولذلك لا يُعبأ بقدح بعض النحاة في بعض الأوجه[2].

وقد لخصها ابن الجزري بقوله:

فكل ما وافق وجه نحو ... وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسنادًا هو القرآن ... فهذه الثلاثة الأركـان
وحيثما يختل ركن أثبت ... شذوذه لو أنه في السبعة[3]

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق على القراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة[4]:

ثالثا: هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة؟

يعتقد بعض الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، وهذا خطأ.

قال العلامة مكي بن أبي طالب" إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة، فمن بعدهم عليه[5].

المطلب الثالث: حكم تعلم القراءات:

تعلم القراءات فرض كفاية، فإن لم يكن يصح له إلا واحد، تعين عليه، وإن كان جماعة يحصل المقصود ببعضهم، فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طلب من أحدهم وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم لكن يكره له ذلك إن لم يكن له عذر[6].

---

(1) مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود الأندلسي، 202/2 .
(2) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد سالم محيسن،19/1 .
(3) طيبة النشر في القراءات العشر، لابن الجزري ص32 .
(4) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري 9/1 .
(5) الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب ص32 .
(6) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزري ص16.

المطلب الرابع: أهم المؤلفات في علم القراءات:

كثرت المؤلفات في القراءات ما بين منظوم ومنثور، ومطوَّل ومختصر؛ كما تنوعت اتجاهاته.

وأهم المؤلفات في علم القراءات:

1) (السبعة في القراءات) لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، ابن مجاهد البغدادي، المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.
2) (الإبانة عن معاني القراءات) لمكي بن أبي طالب بن القيسي المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.
3) (حرز الأماني ووجه التهاني) نظم في القراءات السبع، للإمام الشاطبي، المتوفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.
4) (إبراز المعاني من حرز الأماني – شرح على الشاطبية) لعبد الرحمن بن إسماعيل الشهير بأبي شامة المتوفى سنة خمس وستين وستمائة.
5) (تحبير التيسير في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة) وكتاب (النشر في القراءات العشر) وهما للإمام محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة.

المطلب الخامس: الأحرف السبعة

أولا: المراد بالأحرف السبعة:

قال القرطبي:" اختلف الناس في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولا..."[1]، وقال السيوطي:" اختلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولا"[2]

أهم هذه الأقوال:

القول الأول: أن المراد بالأحرف السبعة سبع قراءات. وهو قول الخليل بن أحمد، واختاره الخازن[3]

وهذا القول ضعيف، ضعفه كثير من العلماء. بل ذهب الإمام الزركشي إلى أنه أضعف الأقوال[4]. وقال الإمام القرطبي:" وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه"[1].

---

(1) تفسير القرطبي 42/1 .

(2) الإتقان، للسيوطي،130/1 .

(3) التمهيد لابن عبد البر274/8، لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن12/1، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،214/1، الإتقان، للسيوطي،130/1 .

(4) البرهان في علوم القرآن، الزركشي،214/1 .

القول الثاني: المراد بالأحرف السبعة: معاني كتاب الله تعالى وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد وقصص، ومجادلة، وأمثال"

ورد هذا القول كثير من أهل العلم: منهم الإمام الطبري[2]، والإمام ابن عطية[3]

القول الثالث: المراد سبع لغات من لغات العرب[4] نزل عليها القرآن[5]

قال أبو بكر الباقلاني رحمه الله:" هذا باطل"[6].

القول الرابع: المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي وقع فيها الاختلاف. وهو قول الباقلاني[7]. وهو مردود؛ لأنه لا يتفق والحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة التوسعة والتسهيل ولم يقصد به الحصر. وإليه جنح القاضي عياض[8].

وهو مردود؛ لأن المراد حقيقة العدد.

القول السادس: وهو القول الراجح: أن معنى الأحرف السبعة: سبعة أوجه من المعاني المتفقة المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال، وهلم، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي.

قال علي وابن عباس: «نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب»[9].

وهو الذي عليه أكثر أهل العلم: ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن جرير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، والطحاوي، وابن عبد البر، ومال إليه الحافظ ابن حجر[1].

---

(1) تفسير القرطبي، 46/1 .

(2) تفسير الطبري، 48/1 .

(3) المحرر الوجيز، لابن عطية، 4443/1 .

(4) اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثروا، وقال بعضهم: أصل ذلك وقاعدته قريش، ثم بنو سعد بن بكر؛ لأن النبي ε استرضع فيهم، ونشأ وترعرع، وهو مخالط في اللسان كنانة، وهذيلا، وثقيفا، وخزاعة، وأسدا، وضبة وألفافها، لقربهم من مكة، وتكرارهم عليها، ثم من بعد هذه تميما ، وقيسا، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب . البرهان في علوم القرآن، الزركشي،219/1 .

(5) المحرر الوجيز، لابن عطية45/1، فتح الباري، لابن حجر،9 /27، روح المعاني، للألوسي 1 /21 .

(6) المحرر الوجيز، لابن عطية44/1، ونكت الانتصار للباقلاني(403هـ) ص119، ط(منشأ المعارف، الإسكندرية، تحقيق د، محمد زغلول سلام .

(7) التمهيد لابن عبد البر295/8، المحرر الوجيز، لابن عطية1 /43، تفسير القرطبي45/1، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،214/1 / عمدة القاري، البدر العيني،259/12 .

(8) لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، 12/1، عمدة القاري، البدر العيني،259/12،عون المعبود، للعظيم آبادي،245/4، مناهل العرفان، للزرقاني، 121/1 .

(9) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة 96/1 .

قال العلامة أبو شامة: «هذا هو الحق، لأنه إنما أبيح أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسع على قوم دون قوم، فلا يكلف أحد إلا قدر استطاعته"[2].

قال البقاعي:" وهذا في غاية الموافقة للأحاديث الذاكرة أن السبب في المراجعة: التخفيف على الأمة"[3].

قال الزرقاني:" وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث"[4].

وقد اختاره من المتأخرين كل من الدكتور محمد سالم محيسن[5]، والدكتور محمد أبو شهبة[6]، وغيرهما، وأطالا في الاستدلال لصحته، ورد الاعتراضات الواردة عليه.

وله أدلة كثيرة تؤيده منها:

1 . أخرج الإمام أبو عبيد بسنده عن عبد الله قال: سَمِعْتُ الْقِرَاءَةَ فَوَجَدْنَاهُمْ مُتَقَارِبِينَ، اقْرَءُوا مَا عُلِّمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ وَالاخْتِلافَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ وَأَقْبِلْ[7].

2. وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكرة: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ مِيكَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: اسْتَزِدْهُ. فَاسْتَزَادَهُ قَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ. قَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ. فَاسْتَزَادَهُ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ، قَالَ: كُلٌّ شَافٍ كَافٍ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ، نَحْوَ قَوْلِكَ: تَعَالَ وَأَقْبِلْ، وَهَلُمَّ وَاذْهَبْ، وَأَسْرِعْ وَاعْجَلْ"[8].

قال الإمام الطبري:" فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أنّ اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك"هلم وتعال" باتفاق المعاني، لا باختلاف معانٍ موجبةٍ اختلافَ أحكامٍ"[9].

---

(1) الاستذكار لابن عبد البر2/482، البرهان في علوم القرآن، الزركشي،1/220، فتح الباري، لابن حجر،9/28، الإتقان، للسيوطي، 1/132 /سبل الهدى والرشاد، للصالحي،10/288، روح المعاني، للألوسي1/20 .

(2) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة 1/97 .

(3) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي 1/389 .

(4) مناهل العرفان، للزرقاني،1/123.

(5) القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن1/21 .

(6) المدخل لدراسة القرآن، لأبي شهبة ص202.

(7) فضائل القرآن لأبي عبيد، 173، ح716، وصححه الشيخ مجدي السيد، وينظر تفسير الطبري،1/50، ح48 . قال الشيخ شاكر:" إسناده عال جدًا .

(8) مسند أحمد 34/146-147، ح20514، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد7/151، وقال: "فيه علي ابن زيد بن جدعان وهو سيء الحفظ وقد توبع وبقية رجال أحمد رجال الصحيح"، وجوده السيوطي والقاري، ينظر:الإتقان، للسيوطي،1 /133، مرقاة المفاتيح، للقاري1/455 .

(9) تفسير الطبري1/50 .

ثانيا: بعض الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف:

أخرج الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول ε قال: "أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ، فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[1].

وعن أبي بن كعب: أن النبي ε كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا"[2].

ثالثا: حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

للتخفيف على هذه الأمة، وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها شرفًا لها، وتوسعة ورحمة، وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق، وحبيب الحق؛ حيث أتاه جبريل فقال له: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال ρ: أسأل الله معافاته ومعونته؛ إن أمتي لا تطيق ذلك...)[3].

وذلك أن الأنبياء –عليهم السلام– كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي، ρ، بعث إلى جميع الخلق: أحمرها، وأسودها، عربيها، وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم: لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر.

بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج؛ لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا –كما أشار إليه ρ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم؛ لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع[4].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب الفضائل، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، 184/6، ح4991.

(2) سبق تخرجه .

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بيان أن القرآن على سبعة أحرف، 561/1، ح274 .

(4) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري 22/1 .

قال ابن قتيبة في كتاب (المشكل): فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ρ، بأن يُقرِئ كل أمةٍ بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم.. ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى اعتياده طفلاً وناشئًا وكهلاً؛ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه؛ ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأنزل الله برحمته، ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات، ومتصرفًا في الحركات كتيسيره عليه في الدين[1].

المطلب السادس: فوائد اختلاف القراءات وتعدد الحروف[2]:

1- فيها دليل قاطع على أن القرآن الكريم كلام رب العالمين قال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا} [النساء:82].

2- ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة؛ إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به ρ.

3- فيها دلالة على عظمة هذه الأمة؛ حيث تلقت القرآن الكريم بالحروف المختلفة، ووعتها، وأحكمت ضبطها، وهي مَنْقَبَةٌ عظيمة، وميزة لها كبرى، تنفرد بها عن سائر الأمم.

4- ومنها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته، وإنعامهم النظر وإمعانهم الكشف عن التوجه والتعليل والترجيح، والتفصيل بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم، والأجر على قدر المشقة.

5- أجلّ حكمة وأعظمها هي التيسير على الأمة في أمر القراءة والتخفيف عنها، رُوعي في ذلك اختلاف اللغات واللهجات، كما روعي في ذلك جميع الفئات: من شيخ كبير، وطفل صغير، وامرأة عجوز، ومن لم يقرأ كتابًا قط.

6- فيها سهولة الحفظ وتيسير النقل، فحفظ كلمة ذات وجوه مختلفة أيسر من حفظ جمل من الكلام على وجه واحد.

7- فيها يظهر إعجاز القرآن ويتجلى بإيجاز الكلام، فتقرأ كلمة واحدة بأكثر من وجه وهي برسم واحد، فتدل كل قراءة على حكم شرعي دون تكرار اللفظ وإعادة الخط، مثل كلمة (أرجلكم) في

---

(1) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص32 .

(2) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري53/1، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة المتخصصين، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 333/1، القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد سالم محيسن 39/1 .

قوله تعالى:(**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)**[المائدة 6]. فقد قرئت بالنصب والجر[1]، فالنصب يقتضي فرض الغسل، عطفًا على الأيدي والوجه، أما الخفض فيقتضي فرض المسح، عطفًا على الرؤوس.

8- الجمع بين حكمين مختلفين، كقوله تعالى: **(وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)**[البقرة 122] قال ابن خالويه:" قوله تعالى [حَتَّى يَطْهُرْنَ] يقرأ بالتشديد والتخفيف"[2]. فقراءة التخفيف(يَطْهُرْنَ) أي بانقطاع الحيص، وقراءة التشديد(يَطَّهَرْنَ) تفيد الطهر بالماء، فلا بد من الطهرين كليهما في قرب النساء"[3].

(1) فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات، محمد إبراهيم سالم، 550/2.

(2) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار الكتب العلمية – لبنان – 1419هـ1998م، ط: الأولى، ص203 .

(3) مناهل العرفان، للزرقاني، 148/1.

المطلب السابع: مراتب القراءة.

ثلاثة: التحقيق، والحدر، والتوسط.

أما التحقيق: التأني في القراءة بإشباع المدات، وتحقيق الهمزات، وإتمام الحركات، وتبيين الحروف، وتحقيق مخارجها وتوفية الغنات.

والتحقيق: هو قراءة النبي ρ فقد روى عن أم سلمة رضي الله عنها،أنها سئلت عن قراءة النبي ρ، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا، حرفا[1].

وأما الحدر: فهو إدراج القراءة والإسراع بها، وذلك بتخفيف الأحكام مما يصح في التجويد، القراءة به.

وأما التوسط: فهو مرتبة بين التحقيق والحدر، وهو المختار عند أكثر أهل القراء.

وقد اختلف علماء القراءات في أيهما أفضل: التحقيق أم الحدر، فقال قوم: التحقيق؛ لأنه يساعد على الفهم.

وقال آخرون: الحدر؛ لأنه يمكن القارئ من الإكثار من كمية المقروء من الآيات.

قال ابن القيم: الصواب في المسألة أن يقال إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر (التحقيق) أجل وأرفع قدرا، وثواب كثرة القراءة (الحدر)، أكثر عددا، فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددا من العبيد، قيمتهم رخيصة [2].

المطلب الثامن: آداب التلاوة.

ذكر العلماء مجموعة من الآداب لقارئ القرآن ومستمعه، نلخصها فيما يلي:

- يستحب الإكثار من قراءة القرآن وتلاوته، كل على حسب قدرته.
- صرّح مجموعة من العلماء، بأن نسيانه كبيرة، لحديث"من قرأ القرآن ثم نسيه، لقى الله يوم القيامة أجذم"[3].
- يستحب الوضوء لقراءة القرآن؛ لأنه أفضل الذكر.
- يُستحب أن يجلس مستقبلاً القبلة، متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه.
- يُسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، لحديث "إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك"[4].

---

(1) مسند أحمد، 190/44.

(2) زاد المعاد، ابن القيم، 131/1.

(3) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، 549/1، ح1474.

(4) سنن ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب السواك، 194/1، ح291.

• يُسن التعوذ قبل القراءة لقوله تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)** [النحل:98].

• المحافظة على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة"براءة".

• يُسن الترتيل في قراءة القرآن لقوله تعالى**(وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)**[المزمل: 4].

• تُسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم.

• لا بأس بتكرير الآية وترديدها.

• يستحب البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لمن لا يقدر عليه.

• يُسن تحسين الصوت بالقراءة لحديث الدارمي:"حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً"[1].

• القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه؛ لأن النظر فيه عبادة.

• يكره قطع القراءة لمكالمة أحد، فضلاً عن الكراهية مع الضحك والعبث.

• لا تجوز قراءة القرآن بالأعجمية مطلقاً، سواء، أحسن العربية أم لا، في صلاة أو خارجها.

• يُسن الاستماع لقراءة القرآن، وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

• يُسن السجود عند قراءة آية السجدة.

• يُستحب التكبير من"الضحى" إلى آخر القرآن، ويسن صوم يوم الختم والدعاء عقبه.

• يُكره أن يقول نسيت آية كذا، بل أَنسيتها، للنهي عن ذلك.

---

(1) مسند الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب التغني بالقرآن، 2194/4، ح3544 .

أسئلة للمناقشة:

1) ما تنزلات القرآن مع ذكر الدليل.
2) كيف توفق بين الآيات الآتية:
3) قال تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ)**[الدخان: 3]، وقوله تعالى:(**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[القدر: 1]، وقوله تعالى: **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)**[البقرة: 185].
4) ما حكمة نزوله إلى بيت العزة جملة؟
5) اذكر حِكَم نزول القرآن الكريم منجمًا، واشرح اثنين منها بالتفصيل.
6) ما أول ما نزل من القرآن؟
7) كيف ترد على من زعم أن أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى ﴿**يا أيها المدثر**﴾[المدثر: 1].
8) وضح أقوال العلماء في آخر ما نزل من القرآن.
9) ما أول ما نزل في الأطعمة؟ ، وما أول ما نزل في الخمر؟، وما أول ما نزل في القتال؟
10) بيّن فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.
11) عرّف القراءات، وبيّن علاقتها بالقرآن.
12) ما أقسام القراءات؟
13) ما أركان القراءة الصحيحة؟
14) كيف ترد على من زعم أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة.
15) وضح المراد بالأحرف السبعة، وبيّن حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف.
16) لاختلاف القراءات فوائد عدة، اذكر ثلاثة منها.
17) بيّن مراتب القراءة، وآداب التلاوة.

الفصل الثالث: المكي والمدني

ليس المقصود هنا أن نستقصي بالتفصيل آيات القرآن الكريم وسوره. وأن نحقق ما كان منها مكيًا وما كان مدنيًا، فتلك محاولة كبيرة جديرة أن تفرد بالتأليف، وقد أفردها فعلاً بالتأليف جماعة منهم عز الدين الديريني(694هـ) ومكي بن حموش القيسي (437هـ).

ولكن حسبنا هنا أن نتكلم على تعريفات المكي والمدني، وعلى فضل العلم بالمكي والمدني، وعلى الطريق الموصلة إليه، وعلى الضوابط التي يعرف بها، وعلى السور المكية والمدنية المختلف فيها، وعلى أنواع السور المكية والمدنية، وذلك في المباحث التالية.

المبحث الأول: تعريف المكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني أقوال أهمها[1]:

(الأول) أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزل على النبي ρ بمنى وعرفات والحديبية. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضًا كالمنزل عليه في بدر وأحُد.

وهذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول كما ترى، لكن يرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر؛ لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما كقوله سبحانه في سورة التوبة:(**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ**) [التوبة: ٤٢] إلخ فإنها نزلت بتبوك[2]، وقوله سبحانه في سورة الزخرف:(**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**) [الزخرف: ٤٥] إلخ فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء [3].

(الثاني) أن المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة، وعليه يحمل قول من قال: إن ما صدر في القرآن بلفظ {يَا أَيُّهَا النَّاس} فهو مكي؛ وما صدر فيه بلفظ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فهو مدني؛ لأن الكفر كان غالبًا على أهل مكة فخوطبوا بلفظ {يَا أَيُّهَا النَّاس}، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم. ولأن الإيمان كان غالبًا على أهل المدينة، فخوطبوا بلفظ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم أيضًا. وألحق بعضهم {يَا بَنِي آَدَم} بصيغة {يَا أَيُّهَا النَّاس}.

وهذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى لكنه غير دقيق لورود أشكال من الخطاب غير الصيغ المذكورة نحو: (**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**) [الأحزاب: ١] إلخ .

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 193/1، دراسات في علوم القرآن، للرومي، ص45.

(2) تفسير ابن كثير 361/2.

(3) السورة مكية.

ونحو قوله سبحانه في سورة المنافقين:(**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** [المنافقون: ١] إلخ.

إضافة إلى أن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة" يَا أَيُّهَا الناس"، وهناك آيات مكية صدرت بصيغة" يَا أَيُّهَا الذين آمنوا". مثال الأولى سورة النساء، فإنها مدنية وأولها" يَا أَيُّهَا الناس اتقوا ربكم"، وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها" يَا أَيُّهَا الناس أعبدوا ربكم" ومثال الثانية سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها" يَا أَيُّهَا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا" الخ ولو قيل أن المراد الغائب لصح.

(الثالث) وهو المشهور: أن المكي ما نزل قبل هجرته ρ إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد هجرته ρ إلى المدينة وإن كان نزوله بغير المدينة.

وهذا التقسيم كما ترى لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح، ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم.

وعليه فآية: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)** [المائدة: ٣] مدنية، مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع.

وكذلك آية:(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)** [النساء: ٥٨]، مدنية مع أنها نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة[1].

والواضح أن هذه التعريفات تميل إلى القياس الذي يعتمد على العقل، علمًا بأن أفضل الطرق للمعرفة السليمة هما الاتجاهان السماعي والقياسي، السماعي: يعتمد على النقل، والقياسي، يعتمد على العقل وهما أساسا المعرفة السليمة.

المبحث الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني:

من فوائد العلم بالمكي والمدني:

أ. تمييز الناسخ من المنسوخ فيما إذا وردت آيتان أو آيات من القرآن الكريم في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هاتين الآيتين أو الآيات مخالفًا للحكم في غيرها، ثم عُرف أن بعضها مكي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني منها ناسخ للمكي نظرًا إلى تأخر المدني عن المكي.

ب. معرفة تاريخ التشريع وتدرجه بوجه عام، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد.

---

(1) الإتقان، للسيوطي،1/74-75 .

ج. الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالمًا من التغيير والتحريف، ويدل على ذلك اهتمام المسلمين به كل هذا الاهتمام، حتى ليعرفون ويتناقلون ما نزل منه قبل الهجرة وما نزل بعدها، وما نزل بالحضر وما نزل بالسفر؛ وما نزل بالنهار وما نزل بالليل، وما نزل بالشتاء وما نزل بالصيف، إلى غير ذلك[1].

المبحث الثالث: كيفية معرفة المكي والمدني، وضوابطهما.

المطلب الأول: كيفية معرفة المكي والمدني:

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك (الاتجاه النقلي)؛ لأنه لم يرد عن النبي ρ بيان للمكي والمدني، وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا بحاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه وأسباب نزوله عيانًا.

قال عبد الله بن مسعود τ « وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ: إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ، إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تَبْلُغُهُ الإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[2].

المطلب الثاني: ضوابط معرفة المكي والمدني[3]:

قد عرفنا فيما مضى أن مرد العلم بالمكي والمدني هو السماع عن طريق الصحابة والتابعين، بيد أن هناك علامات وضوابط يعرف بها المكي والمدني.

أولا: ضوابط المكي:

1. كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية. وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاث وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة كلها في النص الأخير من القرآن وذلك؛ لأن كلا للتهديد والتعنيف، وهو ما يليق بحال الجبابرة الذين هم بمكة، وهذا ضابط مطّرد، فالسور المدنية ليس بها سجدة.
2. كل سورة فيها سجدة فهي مكية، وهذا ضابط مطرد، فالسور المدنية ليس بها سجدة.
3. كل سورة مفتتحة بالحمد فهي مكية، وهي خمس سور (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)
4. كل سورة في أولها حروف التهجي، فهي مكية سوى سورتي البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بالإجماع. وفي الرعد خلاف.

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 195/1.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ρ، 187/6، ح5002 .

(3) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، 161/1، مناهل العرفان، للزرقاني، 196/1، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد،ص34، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص226، إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل عباس، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1997م: 172/1.

5. كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى سورتي البقرة وآل عمران.
6. كل سورة فيها قصة آدم وابليس فهي مكية سوى سورة البقرة أيضًا.
7. كل سورة انفردت ب(يا أيها الناس) دون نداء المؤمنين فهي مكية مثل سورة يونس، وسورة الأعراف، أما إذا اجتمع النداءان فالسورة مدنية كسورة البقرة وسورة النساء.
8. كل سورة فيها لفظ(يا بني آدم) بالنداء فهي مكية.

ثانيًا: ضوابط المدني: فكما يأتي:

1. كل سورة فيها الحدود والفرائض(الميراث)فهي مدنية، كسورة النساء، والمائدة، والنور.
2. كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فقط وليس فيها (يا أيها الناس).
3. كل سورة فيها إذن بالجهاد وبيان لأحكام الجهاد فهي مدنية.
4. كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية، ما عدا سورة العنكبوت فهي مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها، فإنها مدنية، وهي التي ذكر فيها المنافقون.

المطلب الثالث: مقاصد المكي والمدني[1]:

اتسم القرآن الكريم بمنهج فريد في معالجة قضايا المجتمع، ويظهر لنا هذا بوضوح من خلال ما امتاز به المدني عن المكي.

أولا: مقاصد المكي:

1- يعنى القرآن المكي أولاً بترسيخ الأصول الاعتقادية التي جاءت بها جميع الشرائع السماوية، وهي توحيد الله -عز وجل، وإفراده بالعبادة، وتنزيهه عن كل ما لا يليق بذاته تعالى، وتصديق الرسل في كل ما جاءوا به، والإيمان بالكتب المنزَّلة، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، إلى آخر ما هنالك من الأصول الاعتقادية.

2- وعُنِيَ القرآن المكي أيضًا كلَّ العناية بالقضاء على ما ورثوه عن آبائهم، وما ابتدعوه من عند أنفسهم من عادات سيئة، ومعتقدات فاسدة، كسفك الدماء، وأكل مال اليتيم، ووأد البنات، والتطفيف في الكيل والميزان، وغير ذلك من الرذائل.

3- ودعاهم إلى أصول التشريعات العامة، والآداب السامية، بوصفها برهانًا عمليًّا على سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد، وجاء التفصيل لهذه الأصول في القرآن المدني، ووضع لها الشروط والقواعد والضوابط.

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 202/1، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد، ص34، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص227 .

4- ولتثبيت هذه الأصول والمعتقدات الصحيحة في قلوب الناس جميعًا؛ مؤمنين وكافرين، كما عُنِيَ القرآن المكي عناية فائقة بأخبار الأنبياء والأمم السابقة، لما فيها من عظاتٍ وعِبَرٍ وتبيانٍ لسنة الله تعالى في هلاك المكذبين، ونجاة المؤمنين.

5- ومن خواص هذا القسم قِصَرُ معظم آياته وسوره، ولا سيما أوائل ما نزل، ولعل ذلك كان كذلك ليتمكن المؤمنون من حفظه بسهولة ويسر، فهم في أول عهدهم به لم تتعوَّد ألسنتهم على النطق به مرتلاً، كما أمر الله تعالى أن يُتْلَى، وفيهم الشيخ الكبير، والمرأة المسنة، والطفل الصغير، وأكثرهم أمِّيُّون، فكيف يستطيعون قراءة الآيات الطويلة المقاطع، وهم لم يتعودوا بعد على مثل ذلك، فكان من رحمة الله بهم أن أنزل الله هذه السور القصيرة في آياتها ومقاطعها ليتمكنوا من حفظها وتلاوتها في يسر ونشاط.

ثانيًا: أما مقاصد القرآن المدني فهي -كما قلنا- تابعة للمقاصد السابقة، ومبنية عليها، ومبيِّنَة لمجملها، ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

1- بيان الأحكام العقدية والشرعية بالتفصيل، بيانًا يكشف دقائقها وأسبابها، وشروط صحتها، والحكمة من تشريعها.

2- ظهرت في العهد المدني تشريعات لم تكن في العهد المكي، مثل مشروعية الصوم، ومشروعية القتال، وفريضة الحج، وتحريم الخمر، وتحريم الربا، وغير ذلك.

3- الكشف عن أحوال المنافقين، الذين كانوا أشدَّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين، وبيان ما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر وخداع، وحرصٍ وطمع، وإعلام المسلمين بمآلهم بعد إعلامهم بحالهم، إيصائهم باتخاذ الحيطة والحذر من كيدهم وألاعيبهم، ومراقبتهم في جميع تصرفاتهم المغرضة، ومجاهدتهم بالحجة والبرهان، والإغلاظ عليهم في القول والمعاملة، مع بذل النصح لهم بالرجوع إلى الله تعالى، والتمسُّك بدينه الحنيف.

4- دعوة أهل الكِتَاب إلى الإسلام ومجادلتهم بالحُجَّة والبرهان في معتقداتهم الباطلة، وشبههم المزيفة، وبيان جناياتهم على الكتب السماوية بالتحريف والتبديل، وردِّهم عن غيِّهم إلى الرشد الذي جاءهم به الإسلام.

المطلب الرابع: مقاصد الشريعة والعلاقة بين المكي والمدني:

لاحظ الشاطبي -رحمه الله- تلك العلاقة، فمقاصد التشريع العليا، وأسسه الكبرى، تم إرساؤها في القرآن المكي، جنبا إلى جنب مع أصول العقيدة وأسسها. ثم بيّن ذلك - رحمه الله- بإرجاع الأصول الخمسة إلى أدلتها من القرآن المكي:

أما حفظ الدين وتصحيح الإيمان وتثبيته في القرآن المكي، فمسألة أشهر وأوضح من أن تحتاج إلى دليل أو مثال، حتى لقد شاع - خطأ- أن القرآن المكي لا يحتوي إلا على هذا، وهي الفكرة

التي يصححها الإمام الشاطبي من خلال بيان ما اشتمل عليه القرآن المكي من قواعد وكليات تشريعية.

وأما حفظ النفس، فقد نص عليه في كثير من الآيات المكية كقوله تعالى: **(وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ)** الإسراء: ٣٣] وقوله: **(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8)بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)**[التكوير: ٨ – ٩]، وغيرهما.

وحفظ النفس يتضمن حفظ العقل. وأما"تكميل" حفظ العقل، فقد جاء في المدينة بتحريم المسكرات، وإقامة الحد عليها. فالحفظ الأول أساس الحفظ الثاني، وهذا هو المراد بيانه في هذا السياق. حفظ النسل، أيضًا، جاء بمكة، بتحريم الزنى، والأمر بحفظ الفروج عن الحرام. وكذلك حفظ المال، يحققه ما جاء في المكي من تحريم الظلم، وأكل مال اليتيم والإسراف، والبغي، ونقص المكيال والميزان، والفساد في الأرض.

ومن هذا الباب أيضًا: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما ضروريان لحفظ الأصول المتقدمة، قد جاء النص عليهما بمكة، كما في الآية: **(يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ)**[لقمان: ١٧]. وما الجهاد الذي شرع بالمدينة إلا فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حتى موضوع"النسخ"، استصحب الشاطبي معه مقاصده وكلياته: فأعاد التذكير –في المسألة الأولى من مسائل النسخ– بأن"القواعد الكلية هي الموضوعة أولا، والتي نزل بها القرآن على النبي ρ بمكة، ثم تبعها أشياء بالمدينة، كملت بها القواعد التي وضع أصلها بمكة.

وليس هذا من الشاطبي مجرد تكرار لفكرته عن التشريع بين المكي والمدني، على أهميتها، وإنما أعاد الفكرة هنا، وفصل فيها أكثر، لما يريد أنه يبنيه عليها في موضوع النسخ، وذلك قوله –في المسألة الثانية–:"لما تقرر أن المنزل بمكة من أحكام الشريعة هو ما كان من الأحكام الكلية، والقواعد الأصولية في الدين، على غالب الأمر، اقتضى ذلك أن النسخ فيها قليل لا كثير؛ لأن النسخ لا يكون في الكليات وقوعًا، وإن أمكن عقلاً.

ويدل على ذلك الاستقراء التام، أن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء، بل إنما أتى بالمدينة مايقويها ويحكمها ويحصنها. وإذا كان كذلك. لم يثبت نسخ لكلي ألبتة. ومن استقرى كتب الناسخ والمنسوخ تحقق هذا المعنى، فإنما يكون النسخ في الجزئيات منها، والجزئيات المكية قليلة.

وعند تطرقه إلى الحديث عن السنة– بعد الحديث عن القرآن– وقف وقفة أخرى، استخدم فيها النظرة "المقاصدية"، في الربط بين أدلة الشريعة، قرآنا وسنة، وفي الربط بين مناحي البناء التشريعي بكلياته وجزئياته.

فكما أنه –رحمه الله– لاحظ أن القرآن المدني بتفصيلاته، قد بني على القرآن المكي وكلياته،

لاحظ أيضًا –وبيّن– أن السنة قد بنيت –بشكل تام– على القرآن الكريم؛ لأن مدارهما واحد، هو مقاصد الشريعة في إقامة المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية[1].

أسئلة للمناقشة:

1) اذكر أقوال العلماء في تعريف المكي والمدني، مع بيان الراجح.
2) ما فوائد العلم بالمكي والمدني؟
3) ما طرق معرفة المكي والمدني؟
4) للمكي والمدني ضوابط عدة، اذكر ثلاثة منها.
5) ما مقاصد المكي والمدني؟
6) قارن بين المكي والمدني من حيث التعريف ، والضوابط، والمقاصد.
7) ميز المكي من المدني فيما يأتي مع ذكر السبب.

قال تعالى: **(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)**.

قال تعالى :**(وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ)** الانشقاق: ٢١.

قال تعالى:**(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)** [القلم،1].

قال تعالى: **(كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)** [القيامة: ٢٠].

قال تعالى: **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)** [ق: ١].

(1) ينظر: الموافقات ، الشاطبي 46/3–47، نظرية المقاصد عند الشاطبي ، أحمد الريسوني ،151/1 وما بعدها .

الفصل الرابع: في جمع القرآن وكتابته وترتيبه

المبحث الأول: جمع القرآن.

مدخل: تطلق كلمة"جمع" ويراد بها كتابة حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره، وقد يراد بها حفظه واستظهاره في الصدور. والأولى مقصود هنا. وقد حدث الجمع في ثلاث مرات: الأولى في عهد النبي ρ، والثانية في خلافة أبي بكر الصديق، والثالثة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وقد نسخت المصاحف في المرة الثالثة وأرسلها عثمان إلى الآفاق.

المطلب الأول: جمع القرآن في الصدور:

لقد بلغ من حرص النبي ρ على حفظ القرآن، أنه كان يحرك لسانه به في أشد حالات حرجه وشدته، وهو يعاني ما يعاني من الوحي وشدته، كان فعله استعجالاً لحفظه وجمعه في قلبه، حتى اطمأن إلى ذلك من خلال وعد ربه له قال تعالى:(**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)).**

[القيامة: ١٦ – ١٩][(1)].

أما الصحابة رضي الله عنهم، فكان اهتمامهم شديدًا بالقرآن الكريم، فكانوا يتنافسون في حفظه وفهمه وتلاوته حتى كان لهم به دوى كدوي النحل، ووصل الأمر أن جعلوا القرآن مهر الزوجة؛ يعلمها إياها[(2)].

لقد حفظ القرآن مجموعة كبيرة من الصحابة، جمعوه في قلوبهم ووعوه بعقولهم؛ لأن هذه الأمة أناجيلهم في صدورهم، ولأن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب.

منهم: الخلفاء الأربعة وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وابن مسعود، وأبو هريرة، وابن عباس، وابن الزبير، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه، وغيرهم من المهاجرين، ومن الأنصار: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وأبو زيد.

أما رواية أنس عند البخاري والتي جاء فيها عن قتادة قَالَ : سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: أَرْبَعَةٌ كُلُّهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ : أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ"[(3)].

فقد أجاب عنها العلماء بعدة أجوبة هي:

1 – فلا يلزم أن يكون غيرهم جمعه.

---

(1) سورة القيامة آية 16–17

(2) مسند الشافعي 33/3.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ρ،187/6 . ح5003 .

2 – المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

3 – إن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة بخلاف غيرهم.

4 – أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم.

5 – المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظا على ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب[1].

6 – قال ابن حجر: "المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، بقرينة المفاخرة[2]، فلا ينفي ذلك من غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم"[3].

كتابته في عهد الرسولρ:

اتخذ النبي ρ مجموعة من أصحابه ليقوموا بمهمة كبيرة، هي كتاب القرآن الكريم، وعرفوا هؤلاء"بكتّاب الوحي" فكان النبيρ عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته، زيادة في التوثيق. منهم: معاوية بن أبي سفيان، وأبان بن سعيد، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وثابت بن قيس، وخالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب، وكانوا يكتبون على العُسُب[4] واللِخَاف[5] والرِّقاع[6]، والأكتاف[7]، وقطع الأديم[8]. ومما هو معلوم أن النبي ρ كان يدلهم على موضع المكتوب من سورته.

---

(1) الإتقان في علوم القرآن، 246/1، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي، 334/11، المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص264.

(2) وحديث المفاخرة في المستدرك على الصحيحين 80/4 ح7069 ونصه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ :افْتَخَرَ الْحَيَّانِ مِنَ الأَنْصَارِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَقَالَتِ الأَوْسُ : مِنَّا مَنِ اهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَمِنَّا مَنْ حَمَتْهُ الدَّبْرُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الأَقْلَحِ، وَمِنَّا مَنْ غَسَّلَتْهُ الْمَلائِكَةُ حَنْظَلَةُ بْنُ الرَّاهِبِ ، وَمِنَّا مَنْ أُجِيزَتْ شَهَادَتُهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَقَالَ الْخَزْرَجِيُّونَ : مِنَّا أَرْبَعَةٌ جَمَعُوا الْقُرْآنَ لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ . قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(3) فتح الباري لابن حجر، 51/9.

(4) العُسُب: جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون على الطرف العريض منه. تهذيب اللغة، الأزهري،68/2 .

(5) اللِخَاف: حجارة بيض رقاق . تهذيب اللغة، الأزهري، 168/7 .

(6) الرِّقاع: جمع رُقْعة، وهي التي يكتب فيها، وتكون من جلد أو كاغد. لسان العرب، 1705/3، مادة (رقع).

(7) الأكتاف: جمع كتف، وهو عظم عريض يكون في أَصل كتف الحيوان من الناس والدوابّ، كانوا يكتُبون فيه لقِلة القَراطِيس . لسان العرب، لابن منظور، 294/9.

(8) الأديم: الجلد المدبوغ والجمع: أدم . المصباح المنير، للفيومي ص11.

وهكذا انقضى العهد النبوي الزاهر والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنه لم يكتب في مصاحف، بل كتب منثورًا كما رأينا.

وفي علة عدم كتابته في مصحف، يقول الخطابي"إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه من الله على هذه الأمة [1].

ويُبيّن زيد بن ثابت طريقته في كتابة القرآن فيقول: " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ρ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ"[2].

وكان هذا التأليف عبارة عن ترتيب الآيات حسب إرشاد النبي ρ، وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل عليه السلام، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان يقول"ضعوا كذا في موضع كذا" ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر في ذلك إلا عن أمر الله عز وجل.

وهذا ما دعا البيهقي لقول: شبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ρ[3].

المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق τ:

دارت الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، واستشهد فيها كثير من القراء. هال ذلك المسلمين وأزعجهم، خشية ضياع القرآن بموت حفظته، فاقترح عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يجمع القرآن الكريم.

لقد تردد أبو بكر رضي الله عنه أول الأمر وما ذلك إلا؛ لأنه كان شديد الاتباع لرسول ρ.. لذا تردد كثيرًا في هذا الأمر، وما زال عمر رضي الله عنه به حتى شرح الله صدره، لأن جمع القرآن من أعظم الوسائل النافعة إلى حفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف وأنه ليس من محدثات الأمور.

تنفيذ الاقتراح:

كان لا بد أن يفكر أبو بكر الصديق في من يقوم بهذه المهمة، وكان لا بد أن يمتلك من يقوم بهذا العمل المؤهلات التي تؤهله لهذا العمل الجليل، وتتمثل فيه مواهب واستعدادات خاصة، قد لا تجتمع في غيره من الرجال.

وها نحن ندع المجال لزيد بن ثابت ليحدثنا عن هذه الواقعة:

---

(1) الإتقان، للسيوطي،202/1.

(2) المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، تأليف القرآن في عهد رسول الله ρ، 611/2، ح4240.

(3) شعب الإيمان 343/1.

روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال : أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ρ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ρ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ. فَوَاللهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللهِ ρ؟ قَالَ: هُوَ وَاللهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾[التوبة: 128]، حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ"[(1)].

سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق:

دلت الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أن سبب جمعه يعود إلى خوف الصحابة رضوان الله عليهم من ذهاب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك أو موتهم، فكتابته مجموعا في مصحف واحد فيه أمان وحفظ له مما قد يحصل في المستقبل، ويدل لهذا ما أفصح عنه عمر رضي الله عنه ـ كما في الحديث السابق– بقوله:"إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن" فذهاب بعض القراء قد يعني ذهاب الآخرين، فبهذا العمل أمكن تدارك الأمر منذ بدايته.

المؤهلات التي استوجبت تقديم زيد ين ثابت لجمع القرآن:

من الرواية السابق يتبين لنا أن اختيار الصديق زيد بن ثابت لجمع القرآن لم يأت محاباة منه، إنما كان هذا الاختيار؛ لأن زيدًا انفرد بمواصفات خاصة تميزه عن غيره، وقد أفصح الصديق رضي الله عنه كما في الحديث السابق، أنه قال لزيد:" إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ρ فتتبع القرآن فاجمعه". ويمكن لنا تلخيص هذه المؤهلات في الآتي:

---

(1) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، 183/6، ح4986.

1. أنه رجل شاب، ولا يخفى على أحد ما يتميز به الشباب من النشاط، والاستمرار في العمل بلا فتور.
2. أن زيدًا كان من حفظة القرآن.
3. أنه كان من كتّاب الوحي، فهو يَخبُر هذا العمل، وهذه مزية تستوجب تقديمه.
4. أنه كان معروفًا برجاحة عقله وشدة ورعه.
5. أمانته واستقامته، ومن كان كذلك فلا يتطرق إليه تجريح أو غيره.
6. تميزه بشدة الضبط وحسن الخط، وإلا لما كان من كتّاب الوحي.
7. أنه شهد العرضة الأخيرة.

لهذه الأسباب وغيرها كان اختيار الصديق رضي الله عنه لزيد بن ثابت وكان اختيارًا موفقًا، خلا أن زيدًا لم يوافق أول الأمر، وإنما تردد فلم يزل الصديق يراجعه حتى شرح الله صدره لهذا الأمر.

ويعلل ذلك ابن بطال فيقول: "إنما نفر أبو بكر أولا، ثم زيد بن ثابت ثانيا، لأنهما لم يجدا رسول الله ρ فعله، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول[1]".

مواصفات الجمع:

لقد انتهج زيد في القرآن طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر، فيها ضمان وتثبت وحذر بالغ، فلم يكتف بما حفظ قلبه ولا بما كتبه بيده ولا بما سمعه بإذنه؛ بل اعتمد على مصدرين:

أحدهما: ما كتب بين يدي الرسول ρ.

الثاني: ما كان محفوظًا في صدور الرجال. وفيما يلي بعض المواصفات:

قال يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: قدم عمر فقال: من كان تلقى من رسول الله ρ شيئًا من القرآن فليأت به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئًا حتى يشهد شاهدان[2].

ويدل عليه ما أخبر به هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقْعدَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَمَنْ جَاءَكُمَا بِشَاهِدَيْنِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاكْتُبَاهُ[3].

---

(1) فتح الباري، لابن حجر، 13/9 .

(2) المصاحف لابن أبي داود ص113،الإتقان، للسيوطي، 205/1 .

(3) المصاحف لابن أبي داود ص51، قال ابن حجر: رجاله ثقات مع انقطاعه . فتح الباري، لابن حجر، 14/9.

وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوبًا، وإنما كان يطلب شاهدين، يشهدان أن هذا المكتوب كتب بين يدي النبي ρ أو روجع على قراءته، أو سمعه وأقره. وكان ذلك مبالغة في الاحتياط.

فليس المقصود بالشهادة هنا الشهادة على قرآنية المكتوب إنما" المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ρ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل فيها القرآن.

وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ρ، لا من مجرد الحفظ.

وروى عن الليث بن سعد قال: أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ أَبُو بَكْرٍ وَكَتَبَهُ زَيْدٌ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكَانَ لا يَكْتُبُ آيَةً إلا بِشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَإِنَّ آخِرَ سُورَةٍ بَرَاءَةٍ لَمْ تُوجَدْ إلا مع أَبِي خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ فَقَالَ: اكْتُبُوهَا فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ جَعَلَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ فَكَتَبَ. وَإِنَّ عُمَرَ أَتَى بِآيَةِ الرَّجْمِ فَلَمْ يَكْتُبْهَا، لأَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ [1].

قال علي τ: إن أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر الصديق، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين"[2].

وقد قوبلت تلك الصحف التي جمعها زيد بما تستحق من عناية فائقة، فحفظها أبو بكر عنده، ثم حفظها عمر بعده، ثم حفظتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة عمر حتى طلبها عثمان بن عفان τ حيث اعتمد عليها في استنساخ مصاحف القرآن ثم ردها إليها.

مميزات جمع أبي بكر:

امتاز جمع أبي بكر بما يأتي:

1. أن القرآن حظي بأعلى طرق التثبت والاستيثاق.
2. أنه كان مرتب الآيات.
3. اقتصاره على ما لم تنسخ تلاوته، وتجريده مما ليس بقرآن.
4. تميزه بالدقة والسلامة من الزيادة والنقصان.
5. اشتماله على الأحرف السبعة.
6. ظفر بإجماع الأمة وتواتر ما فيه.

تسميته بالمصحف: روى السيوطي عن ابن أشته في كتابه المصاحف أنه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسمًا، فقال بعضهم: السِّفْر.

---

(1) رواه أبو داود، وهو حديث رجاله ثقات وإن كان منقطعًا. قال ابن حجر: المراد بالشاهدين: الحفظ والكتابة. ينظر: فتح الباري، لابن حجر، 15/9.

(2) المصاحف لابن أبي داود ص49 .

وقال بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه المصحف.
وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه"المصحف"[1].

المطلب الثالث: الجمع في عهد عثمانτ:

سبق أن قلنا: إن القرآن جمع كله في عهد الخليفة الأول أبي بكر، وظلت هذه الصحف عنده ثم انتقلت إلى عمر بن الخطاب في خلافته ثم إلى السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ليكون مصونًا محفوظًا يرجع إليه عند الحاجة.

بقيت تلك الصحف عند السيدة حفصة حتى خلافة عثمان τ فلما اتسعت الفتوحات في زمن الفتوحات في زمن عثمان، واستجد العمران وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجة إلى دراسة القرآن، وطال عهد الناس بالرسول والوحي والتنزيل، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر منهم من الصحابة، فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود وغيرهم يقرأ بقراءة أبي موسى الأشعري، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف، بل كان الشقاق أشد، لبعد عهد هؤلاء بالنبوة وعدم وجود الرسول بينهم يطمئنون إلى حكمه ويرجعون جميعًا إلى رأيه.

واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضًا، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، ولم يقف هذا الخلاف عند حد، بل كاد يلفح بناره جميع البلاد الإسلامية حتى الحجاز والمدينة، وأصاب الصغار والكبار على السواء.

وها هو الإمام البخاري يروي لنا سبب جمع عثمان للقرآن:

أخرج البخاري عن أنس أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا

(1) الإتقان، للسيوطي،185/1 .

نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ[1].

أضف إلى ذلك أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم لم تكن معروفة لأهل تلك الأمصار ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها كلها، حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون، بل كان كل صحابي في قطر يقرئهم بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن، ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم من هذا الخلاف والشقاق البعيد.

لهذه الأسباب والأحداث، رأى عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الخرق قبل أن يتسع على الراقع، وأن يستأصل الداء قبل أن يعز الدواء، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم، وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة، ووضع حدًا لذلك الاختلاف، وحسم مادة هذا النزاع، فأجمعوا أمرهم على استنساخ مصاحف ترسل إلى الأمصار، وحرق كل ما عداها، وألا يعتدوا بسواها، وبذلك يرأب الصدع ويجبر الكسر، وتعتبر تلك المصاحف العثمانية الرسمية نورهم الهادي، وحكمهم العدل في ذلك النزاع والمراء. وشفاءهم الناجع من مصيبة ذلك الداء[2].

تنفيذ قرار الجمع:

وشرع عثمان في تنفيذ هذا القرار الحكيم، في أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة، فعهد في نسخ المصاحف إلى أربعة من الصحابة وثقات الحفاظ، وهم:

1. زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، أحد كتّاب الوحي لرسول الله ρ، وهو الذي كلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع المصحف في عهده. توفي سنة 42هـ وقيل 43هـ وقيل 45هـ[3].
2. عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، أحد العبادلة الذين اشتهروا بالعلم، وعنوا بحفظ القرآن الكريم. توفي سنة 73هـ[4].
3. سعيد بن العاص القرشي الأموي، كان من فصحاء قريش، ومما قيل فيه: إن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص؛ لأنه كان أشبه الصحابة بلهجة رسول الله ρ. توفي سنة 59هـ[5].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن،183/6، ح4987.

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، 257/1 .

(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: 537/2، الأعلام للزركلي، 57/3.

(4) تاريخ دمشق لابن عساكر، 140/28، سير أعلام النبلاء، 363/3.

(5) الطبقات الكبرى، لابن سعد، 21/5، التاريخ الكبير، للبخاري، 502/3.

4. عبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشي المخزومي، كان من أشراف قريش، نشأ في حجر عمر، وتزوج بنت عثمان رضي الله عنهم، مات سنة 43هـ[1].

وجاء في بعض الروايات أن الذين ندبوا للنسخ كانوا اثنى عشر رجلاً.

ولا تنافي بين الروايات، إذ الأربعة هم من يباشرون هذا العمل، وساهم الباقون معهم في هذا العمل الذي تنوء به الجبال.

منهج عثمان في نسخ المصاحف:

وضع عثمان رضي الله عنه لنسخ المصاحف منهجًا حكيمًا تمثل في الآتي:

1 . الاعتماد على الصحف التي جمعها زيد بن ثابت – رضي الله عنه – في عهد أبي بكر الصديق، والتي كانت عند حفصة رضي الله تعالى عنها، حيث قال لها:"أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك".

2 . تعاهده المستمر لهذا العمل، قال كثير بن أفلح:"كان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تداءوا في شيء أخروه"[2].

أخرج البخاري أن ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة) قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ: هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ :**(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا)**[البقرة: 234] إِلَى قَوْلِهِ (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) [البقرة: 240] قَدْ نَسَخَتْهَا الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ قَالَ :تَدَعُهَا يَا ابْنَ أَخِي، لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ[3].

3 . كتابة ما تحققوا أنه قرآن قد استقر في العرضة الأخيرة، وأيقنوا صحته عن النبي ρ مما لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك.

4 . الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة.

5 . كتابة الكلمات التي تواترت فيها القراءات برسم يحتمل القراءات الواردة فيها، وساعد على ذلك عدم التشكيل، وعدم التنقيط.

نحو (فتبينوا) من قوله تعالى:**(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)**[الحجرات: ٦] فإنها تصح أن تقرأ"فتثبتوا" عند خلوها من النقط والشكل وهي قراءة أخرى[4].

وكذلك كلمة"ننشزها" من قوله تعالى:**(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا)** [البقرة: ٢٥٩] فكان تجردها من النقط والشكل يجعلها تقرأ"ننشزها" و"ننشرها"[5].

---

(1) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، 39/17، الأعلام، للزركلي، 303/3 .

(2) المصاحف لابن أبي داود، ص105 .

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا 6/ 31، ح4536 .

(4) النشر في القراءات العشر، لابن الجزري251/2 .

(5) التيسير في القراءات السبع، للداني ص82 .

4 . أما الكلمات التي تواترت فيها القراءات ولا يمكن كتابتها برسمها وتحتمل القراءات فيها، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية، كقراءة"وصى" بالتضعيف (وأوصي) بالهمز، وهما قراءتان في قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**﴾[البقرة: ١٣٢][1].

5 . الاحتكام عند الاختلاف إلى لغة قريش، حيث قال عثمان بن عفان – رضي الله عنه – للرهط القرشيين الثلاثة:"إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم" [2].

حرق عثمان للمصاحف والصحف المخالفة للمصاحف التي نسخت:

بعد أن أتم عثمان نسخ المصاحف بالصورة السابقة، عمل على إرسالها وإنفاذها إلى الأقطار، وأمر أن يحرق كل ما عداها مما يخالفها، سواء أكانت صحفًا أو مصاحف وذلك ليقطع عرق النزاع من ناحية، وليحمل المسلمين على الجادة في كتاب الله من ناحية أخرى، فلا يأخذوا إلا بتلك المصاحف التي توافر فيها من المزايا ما لم يتوافر في غيرها.

وقد استجاب الصحابة لعثمان، فحرقوا مصاحفهم، واجتمعوا جميعًا على المصاحف العثمانية، حتى عبد الله بن مسعود الذي نقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان وأنه أبى أن يحرق مصحفه، رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة، حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية، واجتماع الأمة عليها، وتوحيد الكلمة بها.

فرضي الله عن عثمان وأرضاه، إذ قام بهذا العمل الجليل، وحافظ على القرآن، وجمع كلمة الأمة، وأغلق باب الفتنة، ولا يبرح المسلمون يقطفون من ثمار خيره العظيم.

ولن يقدح في عمله هذا أنه أحرق المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية، فقد علمت وجهة نظره في ذلك، على أنه ما فعل من هذا الأمر الجليل إلا بعد أن استشار الصحابة، واكتسب موافقتهم، بل وظفر بمعاونتهم وتأييدهم، فكان ذلك إجماعًا منهم على ذلك.

مزايا جمع عثمان رضي الله عنه:

1. الاقتصار على ما يثبت بالتواتر، دون ما كانت روايته آحادًا.
2. إهمال ما نسخت تلاوته.
3. ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن بخلاف صحف أبي بكر فقد كانت مرتبة الآيات دون السور.

---

(1) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للداني ص106 .

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن183/6، ح4987.

4. كتابتها بطريقة كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن، على ما مر بك من عدم إعجامها وشكلها، ومن توزيع وجوه القراءات على المصاحف إذا لم يحتملها الرسم الواحد.
5. تجريدها من كل ما ليس قرآنا كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحًا لمعنى، أو بيانًا لناسخ ومنسوخ، أو نحو ذلك.

عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه:

اختلف العلماء في عدد المصاحف التي نسخت، فمن قائل: خمسة مصاحف وهو المشهور وقد أرسلت إلى: مكة، والشام، والبصرة، والكوفة، والخامس بقي في المدينة.

وقول آخر: أنها سبعة أرسلت إلى: مكة، ومصر، والبصرة، والكوفة، والشام، واليمن، والمدينة.

وقول ثالث: أنه أرسل مصحفًا للبحرين. وهناك قول أنها ستة، وقول أنها ثمانية. وعلى أية حال هذا خلاف لا داعي له ولا يمثل شيئًا، فالذي نثق فيه أن عثمان بن عفان استنسخ عددًا من المصاحف تفي بحاجة الأمة الإسلامية وقتها. والأهم أن نعرف أن عثمان بن عفان اختار حفاظًا يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار الإسلامية لتعليم الناس[1].

ويقال لهذه المصاحف (العثمانية)، فهي ليست مكتوبة بخط عثمان، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه وإمارته[2].

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 403/1 وينظر: البداية والنهاية، لابن كثير 217/7، المصاحف، لابن أبي داود ص 24.

(2) البداية والنهاية، لابن كثير 217/7، فضائل القرآن لابن كثير ص 15.

المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور.

المطلب الأول: ترتيب الآيات:

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات توقيفي من النبي ρ، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، فقد كان جبريل ينزل بالآيات على رسول الله ρ ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها، ثم يقرؤها النبي ρ على أصحابه ويأمر كتّاب الوحي بكتابتها، معيّنًا لهم السورة التي تكون فيها الآية وموضع الآية من السورة.

الأدلة:

قال السيوطي:" الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد، منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ρ وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"[(1)].

قال زيد بن ثابت: كنا عند النبي ρ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ[(2)].

أَلِفَ بعضُه بَعْضًا، وأَلَّفه: جَمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وتَأَلَّفَ: تَنَظَّمَ.(3)،ومنه قوله تعالى " وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (الأنفال :63)"

،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ [ص:158] اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ "(4)

---

(1) الإتقان، للسيوطي،211/1 .

(2) مسند أحمد 484/35

[3])لسان العرب فصل الهمزة ج9 ص11

[4])أخرجه البخاري في صحيحه برقم(4330)باب:"عزوة الطائف"ج5 ص1557،مسلم برقم(1061)باب:"إعطاء المؤلفة قلوبهم على سهم الإسلام"ج1 ص738

قال البيهقي: والمراد تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ρ[1].

وقال عثمان بن عفان– رضي الله عنه–: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا[2].

ويكفي ثبوت الترتيب قراءته ρ لسور كثيرة بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم ثم نقلهم للتابعين على مثل ذلك، حتى وصل إلينا ذلك من غير خلاف.

ومنها: ما روى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ρ جَالِسًا، إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ فَقَالَ: » أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ :(**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)** [النحل: ٩٠] إلى آخرها[3].

ومنها ما أخرجه مسلم عن عمر قال:.. مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ρ فِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلالَةِ، وَمَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي فَقَالَ: يَا عُمَرُ، أَلا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ؟[4].

فقد دلّه النبي ρ على موضع تلك الآية من سورة النساء.

المطلب الثاني: ترتيب السور:

وأما ترتيب السور فهل هو توقيفي أيضًا، أو هو باجتهاد من الصحابة؟ في ذلك آراء للعلماء.

القول الأول: ترتيب اجتهادي:

قال ابن فارس في كتاب المسائل الخمس: جمع القرآن على ضربين **أحدهما** تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين، فهذا هو الذي تولته الصحابة، **وأما الجمع الآخر** وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي، تولاه النبي ρ[5].

---

(1) شعب الإيمان، للبيهقي343/1 .

(2) سنن الترمذي، أبواب التفسير، باب ومن سورة التوبة 272/5، ح3086.

(3) مسند أحمد 441/29 .

(4) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا أو كراثا أو نحوها، 81/2، ح567.

(5) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 237/1 .

وقد اعتمد أهل هذا الرأي على أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل أن يجمع القرآن في عهد عثمان، فلو كان هذا الترتيب توقيفيًا منقولاً عن النبي ρ ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه ويختلفوا فيه ذلك الاختلاف الذي تصوره لنا الروايات[1].

وهذا الدليل يمكن الرد عليه بأن اختلاف من خالف من الصحابة في الترتيب إنما كان قبل علمهم بالتوقيف.

القول الثاني: ترتيب توقيفي:

قال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ[2].

قال عبد الرحمن بن زيد سَمِعتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلادِي [3].

فذكر ابن مسعود السور نسقا كما استقر ترتيبها.

وعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ρ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا[قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ]، و[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ]، و[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ]...[4].

وعن واثلة بن الأسقع أن النبي ρ قال: أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ[5].

قال أبو جعفر النحاس:"وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ρ: وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ρ على تأليف القرآن[6].

وأيد هذا الرأي أبو بكر الأنباري فقال: أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جوابًا لمستخبر، ويقف جبريل والنبي ρ على موضع السور والآيات والحروف. كله من النبي ρ فمن قدم سورة أو آخرها أفسد نظم القرآن[7].

---

(1) المصدر السابق، 253/1 .

(2) الإتقان، للسيوطي،217/1 .

(3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تأليف القرآن، 185/6، ح4994.

(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات 190/6، ح5017.

(5) مسند أحمد 188/28، ح16982.

(6) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 258/1 .

(7) مناهل العرفان، للزرقاني، 355/1 .

واحتج أهل هذا القول بأن السور المتجانسة في القرآن لم يلتزم فيها الترتيب والولاء، ولو كان الأمر بالاجتهاد للوحظ مكان هذا التجانس والتماثل دائمًا، لكن ذلك لم يكن بدليل أن سور المسبحات لم ترتب على التوالي بينما هي متماثلة في افتتاح كل منها بتسبيح الله. بل فصل بين سورها بسورة"قد سمع" والممتحنة والمنافقين" وبدليل أن"طسم الشعراء وطسم القصص" لم يتعاقبا مع تماثلهما، بل فصل بينهما بسور أقصر منها وهي"طس النمل"[1].

وهذا القول هو الراجح لقوة أدلته.

قال العلماء: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب، تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، بحسب الآتي:

أ- بحسب الحروف كما في الحواميم.

ب-الموافقة بين أول السورة لآخر ما قبلها،كآخر الحمد الله، وأول البقرة.

ج-للتوازن في اللفظ،كآخر"تبت" وأول" الإخلاص".

د-المشابهة بين جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح [2].

ترتيب السور في التلاوة:

ترتيب السور في التلاوة، ليس بواجب، إنما هو مندوب. قال النووي في التبيان"قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب سواء أقرأ في الصلاة أم في غيرها..".

ودليل ذلك أن هذا ترتيب المصحف وهو لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد الشرع باستثنائه.

ولو خالف الموالاة فقراء سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها جاز وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف[3].

قراءة السورة من آخرها إلى أولها:

هذا ممنوع قطعًا؛ لأنه يذهب ببعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات[4].

وأما تعليم الصبيان من آخر المصحف إلى أوله فحسن، وليس من هذا الباب.

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 355/1 .

(2) سواء كان هذا الترتيب توقيفيا أو اجتهاديا، فلابد من احترامه، والعمل به، خصوصا في كتابة المصاحف، لأنه يمثل إجماعا صدر من الصحابة، ولأن الخلاف فيه يؤدي إلى فتن كبيرة وفساد عظيم، فوجب سده.

(3) التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط3، دار ابن حزم – بيروت – لبنان، ص230.

(4) مناهل العرفان، للزرقاني، 359/1 .

المطلب الثالث: تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي:

ناقش مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثانية عشرة بمكة المكرمة 1410هـ/1990 هذا الموضوع، وبعد الاطلاع على قرار هيئة كبار العلماء بالرياض رقم (71) بتاريخ 1399/10/21هـ قرر عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه ليكون حجة خالدة على عدم التسرب أو التغيير أو التحريف، أما الحاجة إلى تعليم القرآن وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين، فالمعلم يتولى تعليم الناشئة خاصة الكلمات القليلة التي وردت في القرآن مثل"الصلوات" و"السماوات" ونحوهما كما يجري مثل ذلك في رسم كلمة" هذا وذلك" في قواعد الإملاء الدارجة.

كما قرر المجلس عدم جواز تغيير رسم الأرقام العربية المستعملة حاليًا إلى رسم الأرقام المستعملة في العالم الغربي[1].

أسئلة للمناقشة

1) ما المراد بجمع القرآن؟
2) تشتمل الآيات التالية على عدة دلالات بيّنها.

قال تعالى:(**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**[القيامة: ١٦ – ١٩].

3) اذكر أسماء بعض حفظة القرآن من الصحابة، وهل هم أربعة كما جاء في حديث أنس عند البخاري؟
4) وضح معنى ما يأتي: (العُسُب، اللِخَاف، الرِّقاع، الأكتاف).
5) هل جمع القرآن الكريم بين دفتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ولم .
6) ما المؤهلات التي استوجبت تقديم زيد ين ثابت لجمع القرآن؟
7) وضح أسباب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق، ومن الذي أشار بذلك؟
8) ما مميزات جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن؟
9) ما أسباب نسخ القرآن الكريم في عهد عثمان؟
10) بيّن منهج عثمان رضي الله عنه في نسخ المصاحف.
11) هل يقدح في عثمان رضي الله عنه حرقه للمصاحف، ولم؟

---

(1) ينظر: غاية المرام شرح مغنى ذوي الأفهام، الشيخ عبد المحسن العبيكان 219/2 وما بعدها.

12) ما مزايا جمع عثمان رضي الله عنه؟
13) هل جمع أبو بكر وعثمان المصاحف على الأحرف السبعة أم على حرف واحد؟
14) كم عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه؟
15) قارن بين جمع أبي بكر رضي الله عنه للقرآن الكريم وجمع عثمان رضي الله عنه.
16) اشح الحديث الآتي، ثم بين موضع الشاهد في ضوء ما درست.

عن واثلة بن الأسقع أن النبي ρ قال: أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ.

17) هل ترتيب آيات القرآن اجتهادًا أم توقيفًا؟
18) بيّن مذاهب العلماء في ترتيب السور مع الترجيح بالأدلة.
19) بيّن حكم ترتيب السور في التلاوة، ثم حكم قراءة السورة من آخرها إلى أولها.
20) هل يجوز تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي؟

الفصل الخامس: أسباب النزول

مقدمة:

إن المقصد من دراسة أسباب النزول –هنا– ليس هو الوقوف على معرفة سبب نزول الآيات القرآنية، آية آية، وإنما المقصود الوقوف على نقاط أسباب النزول من حيث تعريفها، وطرق معرفتها، وفوائدها، إلى غير ذلك من موضوعات، ونحاول الربط بين أسباب النزول من حيث إنه فن إسلامي أصيل وبين ما يمكن أن يستفيد منه المسلمون في حياتهم المعاصرة وبخاصة في المنهج التعليمي.

وبين يدي –القارئ الكريم– نوضح بدايات التصنيف في أسباب النزول، فقد ذكر السيوطي – رحمه الله– أن الإمام علي بن عبد الله المديني(ت234هـ) من أقدم من أفرد معرفة أسباب النزول بالتصنيف، ولكن هذا المصنف غير مشتهر، كما أشار إلى أن شيخ الإسلام أحمد بن حجر (ت852هـ) وضع مصنفًا، مات عنه مسودة[1].

ومن أقدم ما وصل إلينا في أسباب النزول، كتاب" **أسباب النزول**" للإمام الواحدي (ت468هـ) ذكر فيه أسباب نزول الآيات الكريمة، مسندة إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، أو من دونهم، وقد طبع الكتاب مرارًا.

ومن هذه المصنفات أيضًا كتاب" **لباب النقول في أسباب النزول**" للحافظ السيوطي (ت911هـ) لخص كتابه من جوامع الحديث والأصول، ومن تفاسير أهل النقول، وقد طبع مرارًا.

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 107/1 .

المبحث الأول: تعريف سبب النزول لغة واصطلاحًا:

المطلب الأول: تعريف سبب النزول لغة:

يعرف السَّبَب في عرف أهل اللغة بأنه: الحبل، وكل شيء يتوصل به إلى غيره فهو سَبَب، ويقال للطريق: سبب ومنه قوله تعالى:**(فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ)**[الحج آية {15}][1].

وأسباب ورود الحديث هي الظروف والملابسات التي قيل الحديث فيها.

والسَبَب في الشريعة: عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه[2].

وفي العرف العام: هو كل شيءٍ يتوصل به إلى مطلوب[3].

المطلب الثاني: تعريف سبب النزول اصطلاحًا:

هو:" ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة حكمه أيام وقوعه"[4].

والمعنى: أن حادثة وقعت في زمن النبي ρ أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله – تعالى– ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب السؤال"[5].

المراد بقوله" أيام وقوعه"

هي" الظروف التي ينزل فيها القرآن متحدثًا عن ذلك السبب سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة أم تأخر عنه مدة لحكمة من الحكم"[6].

وقوله" أيام وقوعه" قيد لا بد منه للاحتراز عن الآية أو الآيات التي تنزل ابتداء من غير سبب، بينما هي تتحدث عن بعض الوقائع والأحوال الماضية أو المستقبلة، كقصص الأنبياء وأممهم وأخبار الساعة وما يتصل بها"[7].

---

(1) لسان العرب، لابن منظور،458/1، مختار الصحاح، الرازي ص273، تاج العروس، للزبيدي، 37/3 .

(2) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 2 /315، التعريفات، للجرجاني، ص154.

(3) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، 315/2 .

(4) الإتقان، للسيوطي، 1 /94، مناهل العرفان، للزرقاني، 1 /106–107 .

(5) مناهل العرفان، للزرقاني، 108/1 .

(6) المصدر السابق .

(7) مناهل العرفان، للزرقاني، 108/1 .

المبحث الثاني: كيفية معرفة سبب النزول؟

قال الواحدي:"لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب[1] .

وقد كان علماء السلف يتورعون عن أن يقولوا شيئًا في ذلك دون تثبت.

قال"محمد بن سيرين": سألت"عبيدة" عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله من القرآن[2] وهو يعني الصحابة.

فإذا كان هذا قول"ابن سيرين" من أعلام علماء التابعين تحريًا للرواية، ودقة في الفصل، فإنّه يدل على وجوب التثبت والوقوف عند أسباب النزول الصحيحة.

وعليه فإن العلماء يعتمدون معرفة سبب النزول على أسس منها:

1- صحة الرواية عن رسول الله ρ، وهذا لا خلاف فيه.

2- صحة الرواية عن الصحابة، فإن أخبار الصحابي عن مثل هذا، إذا كان صريحًا لا يكون بالرأي، بل يكون له حكم المرفوع.

فقد قال الحاكم في المستدرك[3]: إن تفسير الصحابي عند الشيخين مسند[4]، وبه قال الخطيب وأبو منصور البغدادي وابن الصلاح[5]، وقال آخرون بغير ذلك.

لذا فإن المعتمد في ذلك أقوال الصحابة الصحيحة الصريحة في السببية[6].

3 – أما أقوال التابعين فلها شروط هي:

فقد ذهب السيوطي إلى أنّ قول التابعي إذا كان صريحًا في سبب النزول، فإنه يقبل– ويكون مرسلا– إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر[7].

بيان أن سبب النزول ينحصر في أمرين:

1 . أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها، وذلك كالذي روى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ :﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[الشعراء: 214] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،

([1]) أسباب النزول للواحدي ص10.

([2]) أخرجه الواحدي في أسباب النزول، ص11/ وذكره ابن حجر في العجاب 199/1، وصححه.

([3]) كتاب التفسير: ج2، ص258 .

([4]) الحديث المسند هو: ما اتصل سنده من أوله إلى منتهاه، وأكثر ما يستعمل فيما جاء عن النبي ρ " تدريب الراوي، للسيوطي 182/1.

([5]) توضيح الأفكار للحسيني 281/1 .

([6]) مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح ص75.

([7]) الإتقان، للسيوطي، 1 / 31.

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ρ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ :(**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المسد: ١] [(1)].

2 . أن يسأل رسول الله ρ عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه، كالذي كان من خولة بنت ثعلبة عندما ظاهر[(2)] منها زوجها أوس بن الصامت، فذهبت تشتكي من ذلك.

عن عائشة قالت: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لاسْمَعُ كَلامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا[(3)] إِلَى رَسُولِ اللهِ ρ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيلُ بِهَؤُلاءِ الآيَاتِ **(:قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا)** [المجادلة: ١][(4)].

هل لكل آية سبب نزول؟.

إن دراسة أسباب النزول، لا يعني أن لكل آية سببًا، فإن القرآن لم يكن نزوله وقفًا على الحوادث والوقائع، أو على الأسئلة والاستفسارات، بل كان القرآن ينزل ابتداء، بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله تعالى في حياة الفرد وحياة الجماعة. ذكر السيوطي عن الجعبري: نزول القرآن على قسمين: قسم نزل ابتداءً وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، ليس لكل آية من القرآن سبب خاص لنزولها، بل من الإفراط أن نتوسع في ذلك الفن، فنلتمس لكل آية سببًا لنزولها تكلفًا وتعنتًا، فهناك من آيات القرآن ما نزل ابتداءً مثل الآيات التي تدعو إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهناك نوع من الآيات ليس له سبب نزول سوى الأسباب العامة التي نزلت من أجلها الشرائع، وهي هداية البشر وتنظيم حياتهم وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم[(5)].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، سورة إذا جاء نصر الله، باب قوله :وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب، 179/6، ح4971 .

(2) الظهار: قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم الحنفي(978هـ)، ص57 .

(3) أوس بن الصامت.

(4) سنن ابن ماجه، أبواب الطلاق، باب المظاهر يجامع قبل أن يُكفّر 214/3 ح2063، وصححه الأرنؤوط المستدرك على الصحيحين للحاكم: كتاب التفسير، تفسير سورة المجادلة، 2/ 523، ح3791 .

(5) ينظر الإتقان، للسيوطي، 38/1، علوم القرآن والتفسير، د. عبد الله شحاتة ص93.

المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب النزول

ذكر السيوطي: أن بعض الناس زعم أنه لا فائدة للإلمام بأسباب النزول، وأنها لا تعدو أن تكون تاريخًا للنزول أو جارية مجرى التاريخ[1]، وسوف نبين أهمية وفوائد هذا العلم من خلال عرض الحكم والفوائد مع إيضاح ذلك بالأمثلة الموضحة:

(الأولى): معرفة حكمة الله تعالى الباعثة على تشريع الحكم، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن؛ أما المؤمن فيزداد إيمانًا على إيمانه، ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه، لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام، ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان – إن كان منصفًا – حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الإنسان، لا على الاستبداد والتحكم والطغيان، خصوصًا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد. وحسبك شاهدًا على هذا تحريم الخمر والربا وما نزل فيهما[2].

(الثانية): الوقوف على معنى الآية وإزالة الإشكال عنها، حتى لقد قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها[3]. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب، يورث العلم بالمسبب أ.هـ[4].

مثال ذلك:

أُشكل على عروة بن الزبير τ أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)**[البقرة: 158]

جاء في الصحيح من حديث هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ρ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ حَدِيثُ السِّنِّ: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:(**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** [البقرة: ١٥٨]، فَمَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ شَيْئًا أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : كَلا، لَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ، كَانَتْ: فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لا يَطَّوَّفَ بِهِمَا، إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ، وَكَانَتْ مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ[5]، وَكَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطَّوَّفُوا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ρ عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن، 38/1 .

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 22/1، مناهل العرفان، للزرقاني 109/1.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 22/1 – 23.

(4) الإتقان، للسيوطي، 38/1.

(5) قُدَيد : جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه. المباركفورى–تحفة الأحوذي: 242/8.

اللهُ: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا)** [البقرة: ١٥٨][1].

وإشكاله نشأ من أن الآية الكريمة نفت الجناح، ونفي الجناح لا يتفق والفرضية في رأيه، وبقي في إشكاله هذا حتى سأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأفهمته أن نفي الجناح هنا ليس نفيًا للفرضية، إنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذ من أن السعي بين الصفا والمروة من عمل الجاهلية[2].

وهنا يتبين لنا فقه السيد عائشة رضى الله عنها ومكانتها، فقد أزالت اللبس الذي وقع فيه عروة رضي الله عنه، وبينت له أن الآية جاءت لتزيل الحرج من نفوس المسلمين الذين كانوا يتحرجون من السعي بين الصفا والمروة .

الثالثة: دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر: نحو قوله سبحانه:(**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)** [الأنعام: ١٤٥] [3].

فالآية قد حصرت المحرمات من المطعومات في أربعة هي: الميتة، ولحم الخنزير، والدم، وما أهل لغير الله.

ولما كانت المحرمات غير محصورة في هذه الأربعة، اختلف العلماء في المراد بالحصر فذهب البعض إلى أن الحصر في الآية حقيقي، وذهب البعض إلى أن الحصر هنا غير مراد.

وسبب نزول الآية هو الذي يبين المعنى المراد ، وكان من أبرع من تنبه إلى هذا هو الشافعي رحمه تعالى حيث قال:" إنّ الكفار لمَّا حرَّموا ما أحلَّ الله، وأحلُّوا ما حرَّم الله، وكانوا على المضادَّة والمحادّة جاءت الآية مناقضة لغرضهم. فكأنه قال: لا حلال إلَّا ما حرمتموه، ولا حرام إلَّا ما أحللتموه. نازلاً منزلة من يقول لك: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلَّا حلاوة، والغرض: المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة. فكأنه تعالى قال: "لا حرام إلَّا ما أحللتموه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير وما أُهِلَّ لغير الله به" ولم يقصد حِلَّ ما وراءه، إذ القصد إثبات التحريم، لا إثبات الحِلّ"[4].

([1]) صحيح البخاري: كتاب التفسير ، باب قوله إن الصفا والمروة من شعائر الله 23/6، ح4495 .

([2]) مناهل العرفان، للزرقاني، 110/1 .

(3) سورة الأنعام 145.

(4) البرهان في علوم القرآن، 23/1، وينطر : الأم، للشافعي، 207/2. ط/ الشعب.

(الرابعة): تخصيص الحكم بالسبب، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، لا بعموم اللفظ، فآيات الظهار في بداية سورة المجادلة سببها أن أوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة.

فذهب الجمهور إلى أن العبرة بعموم اللفظ، أي أن لفظ الآية يشملهما ويشمل كل من فعل فعلهما، وذهب البعض إلى أن العبرة بخصوص السبب، وعليه فالآية تخص من نزلت فيه، أما غيره ممن فعل فعله، فإنه يدخل بالقياس أو بدليل آخر.

وبدهي أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه، إلا إذا علم السبب. وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة خالية من الفائدة"[1].

(الخامسة): تثبيت الوحي، وتيسير الحفظ والفهم، وتأكيد الحكم في ذهن من يسمع الآية، إذا عرف سببها؛ وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص، والأزمنة والأمكنة، كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء؛ وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند تذكر ما يقارنها، وذلك فيما يعرف في علم النفس بقانون «تداعي المعاني»[2].

(السادسة): معرفة أسباب النزول تفيد في تعيين الشخص الذي نزلت فيه الآية حتى لا يشتبه بغيره فيظلم بها بريئًا كالذي ذكر في قوله تعالى:(**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** [الأحقاف 17].

ففي الصحيح عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ عَلَى الْحِجَازِ، اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ، فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ: **(وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا)**[الأحقاف: ١٧]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : مَا أَنْزَلَ اللهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ عُذْرِي[3] .

---

(1) مناهل العرفان، 113/1، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، 146.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة ص143

(3) صحيح البخاري: كتاب التفسير: باب (والذي قال لوالديه أف لكما) 133/6،ح4827.

المبحث الرابع: التعبير عن سبب النزول.

تختلف عبارات الرواة في التعبير عن سبب النزول، فتارة يصرح فيها بلفظ السبب فيقال: (سبب نزول الآية كذا) وهذه العبارة نص في السببية لا تحتمل غيرها.

وتارة لا يصرح بلفظ السبب، ولكن يُؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية عقب سرد حادثة (فأنزل)، وهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السببية أيضًا.

ومرة يسأل الرسول ρ، فيُوحي إليه، ويجيب بما نزل عليه ولا يكون تعبير بلفظ سبب النزول، ولا تعبير بتلك الفاء، ولكن السببية تفهم قطعًا من المقام. كرواية ابن مسعود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ :بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ρ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ρ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قال:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥][1].

وحكم هذه أيضًا حكم ما هو نص في السببية.

ومرة لا يصرح بلفظ السبب ولا يؤتى بتلك الفاء، ولا بذلك الجواب المبني على السؤال، بل يقال (نزلت هذه الآية في كذا مثلاً). وهذه العبارة ليست نصا في السببية، بل تحتملها وتحتمل أمرًا آخر، هو بيان ما تضمنته الآية من الأحكام. والقرائن وحدها هي التي تعين أحد هذين الاحتمالين أو ترجحه.

وعليه: إذا وردت عبارتان في موضوع واحد: إحداهما نص في السببية لنزول آية أو آيات، والثانية ليست نصًا في السببية لنزول تلك الآية أو الآيات، هنالك نأخذ في السببية بما هو نص، ونحمل الأخرى على أنها بيان لمدلول الآية؛ لأن النص أقوى في الدلالة من المحتمل.

أمثلة:

أ– ما رواه جابر قال: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا أَتَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا كَانَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ:(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[البقرة: ٢٢٣][2]

---

(1) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب [**وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ**] 217/3، ح4721، قال أبو شهبة: " هذه الرواية وإن لم تصرح بالسبب إلا أن السببية مفهومة من فحوى القصة؛ لأنه ذَكَرَ الحالة التي يكون عليها النبي ρ عند نزول الوحي، ثم ذكر الآية عقب ذلك، كالنص على السببية " ينظر: حاشية المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، 147 .

(2) صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من دبرها، 298/7، ح2592.

ب- عن نَافِعٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ، فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا، فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَكَانٍ قَالَ: تَدْرِي فِيمَ أُنْزِلَتْ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ مَضَى"[1].

فالمعتمد هنا هو رواية جابر الأولى؛ لأنها صريحة في الدلالة على السببية، وأما رواية ابن عمر فهي وإن كانت صحيحة، إلا أنها ليست صريحة في السببية.

وقد بيّن الزركشي أنه قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع [2].

المبحث الخامس: تعدد الروايات في سبب النزول:

تتغير مواقف المفسر إذا تعددت الروايات في سبب نزول آية واحدة، ومنها:

1. إذا لم تكن الصيغ الواردة صريحة مثل: نزلت هذه الآية في كذا"أو أحسبها نزلت في كذا" فلا منافاة بينهما، إذا المراد تفسير الآية، وبيان أن ذلك داخل في الآية ومستفاد منها، وليس المراد ذكر سبب النزول، إلا إذا قامت قرينة على واحدة بأن المراد بها السببية[3].

2. إذا رُوِيت عبارتان في موضوع واحد: إحداهما نص في السببية لنزول آية أو آيات، والثانية ليست نصًا في السببية لنزول تلك الآية أو الآيات، هنالك نأخذ في السببية بما هو نص، ونحمل الأخرى على أنها بيان لمدلول الآية، لأن النص أقوى في الدلالة من المحتمل.

مثال ذلك: ما رُوِي من حديثي جابر وابن عمر رضي الله عنهما في شأن آية البقرة : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ** ﴾ وقد تقدم.

المطلب الأول: تعدد الأسباب والمنزل واحد:

فللعلماء[4] في مثل هذه الحال مقياس دقيق، يرجحون به إحدى تلك الروايات أو يوفقون بينها توفيقًا سائغًا مقبولاً.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ}،3 /148، ح 4526، قال البدر العيني:" مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله: (في كذا وكذا) لأن المراد به في إتيان النساء في أدبارهن" عمدة القاري، للبدر العيني: 116/18.

(2) البرهان في علوم القرآن 31/1.

(3) ينظر: دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل، ص155 .

(4) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 29/1.

أولا: إن جاءت روايتان صحيحتان، ولا مرجح لإحداهما لكن يمكن الجمع بينهما، بأن كلا من السببين حصل ونزلت الآية عقب حصولهما معًا لتقارب زمنيهما، فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب؛ لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه.

مثال ذلك ما روى عن سهل بن سعد أَنَّ عُوَيْمِرًا أَتَى عَاصِمَ بْنَ عَدِيٍّ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي عَجْلانَ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُونَ فِي رَجُلٍ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ سَلْ لِي رَسُولَ اللهِ ρ عَنْ ذَلِكَ، فَأَتَى عَاصِمٌ النَّبِيَّ ρ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ρ الْمَسَائِلَ، فَسَأَلَهُ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ρ كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَعَابَهَا، قَالَ عُوَيْمِرٌ :وَاللهِ لا أَنْتَهِي حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ρ عَنْ ذَلِكَ، فَجَاءَ عُوَيْمِرٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلاً، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ، أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ρ بِالْمُلاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَلاعَنَهَا.."[1].

وعن عكرمة عن ابن عباس أَنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ρ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ρ الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ρ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ وَإِلا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ هِلالٌ :وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:(**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** [النور: ٩][2].

فهاتان الروايتان متساويتان في الصحة، إذ أخرجهما الإمام البخاري، وليس لأحدهما مرجح يرجحها على الأخرى، ففي هذه الحالة وأمثالها يجمع بينهما.

قلت: والجمع بينهما أرجح لأمور هي:

1. أنهما روايتان صحيحتان ولا مرجح لأحدهما على الأخرى.
2. أن الأخذ بإحدى الروايتين وإهمال الأخرى ترجيح بلا مرجح، وهذا لا يجوز.
3. أن الجمع بين الروايتين؛ مع إمكان الجمع أولى من القول بالترجيح.

وبذلك يتعين الأخذ بالروايتين، إذ لا تفضل إحداهما الأخرى[3].

---

(1) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب [وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ]، 99/6، ح4745 .

(2) صحيح البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة النور، باب [وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنْ الْكَاذِبِينَ]، 100/6، ح4747.

(3) الإتقان، للسيوطي، 65/1، مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح ص 143-144.

ثانيًا: إن كانت الروايتان صحيحتين، ويمكننا الترجيح بينهما على أساس أن إحداهما أصح من الأخرى، أو لأن راويها شهد الحادثة دون راوي الأخرى، فلا ريب أن نأخذ بالأصح.

مثال ذلك: عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ρ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ρ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)** [الإسراء: ٨٥][(1)].

وعن عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِيَهُودَ أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فأنزل الله(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٨٥][(2)].

فالرواية الثانية تدل على أنها بمكة، وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه.

أما الأولى فصريحة في أنها نزلت بالمدينة، بسب سؤال اليهود إياه، وهي أرجح من وجهين: الأول: أنها رواية البخاري. وأما الثانية فإنها رواية الترمذي ومن المقرر أن ما رواه البخاري أصح مما رواه غيره. والثاني: أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود، كان شاهد القصة من أولها إلى آخرها، كما تدل على ذلك الرواية الأولى، بخلاف الخبر الثاني، فإنّ راويه ابن عباس وهو لم يشهد القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوة في التحمل وفي الأداء، وفي الاستيثاق ليست لغير المشاهدة، ومن هنا أعملنا الرواية الأولى وأهملنا الثانية[(3)].

ثالثًا: إذا تعددت الروايات وكانت جميعها نصًا في السببية وكان إسناد أحدها أصح من غيره، فحكم الاعتماد على الصحيحة في بيان السبب، ورد الأخرى غير الصحيحة. مثال ذلك:

أ . قال جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ρ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لارْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرُبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: فأنزل الله:(وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)[الضحى: ١ - ٣] [(4)]

---

(1) صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب [وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ] 217/3، ح4721.

(2) سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل 284/5، ح3140، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة القدر، ج2، ص531،وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) مناهل العرفان، الزرقاني 118،117/1.

(4) البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، تفسير سورة الضحى، باب قوله تعالى { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى }، 309/3، ح4950.

ب . وعن حَفْصُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَتْنِي أُمِّي، عَنْ أُمِّهَا، وَكَانَتْ خَادِمَ رَسُولِ اللهِ ρ، أَنَّ جَرْوًا دَخَلَ الْبَيْتَ وَدَخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ وَمَاتَ فَمَكَثَ نَبِيُّ اللهِ ρ، أَيَّامًا لا يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَقَالَ: يَا خَوْلَةُ مَا حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ جِبْرِيلُ لا يَأْتِينِي فَهَلْ حَدَثَ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حَدَثٌ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا أَتَى عَلَيْنَا يَوْمٌ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِنَا فَأَخَذَ بُرْدَهُ فَلَبِسَهُ وَخَرَجَ فَقُلْتُ: لَوْ هَيَّأْتُ الْبَيْتَ، وَكَنَسْتُهُ فَأَهْوَيْتُ بِالْمِكْنَسَةِ تَحْتَ السَّرِيرِ فَإِذَا شَيْءٌ ثَقِيلٌ فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى أَخْرَجْتُهُ فَإِذَا بِجِرْوٍ مَيِّتٍ فَأَخَذْتُهُ بِيَدِي فَأَلْقَيْتُهُ خَلْفَ الدَّارِ فَجَاءَ نَبِيُّ اللهِ تَرْعُدُ لَحْيَيْهِ، وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ الْوَحْيُ أَخَذَتْهُ الرِّعْدَةُ فَقَالَ:" يَا خَوْلَةُ دَثِّرِينِي فَأَنْزَلَ اللهُ (:وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)[الضحى: ١ - ٣][1].

قال ابن حجر في شرح البخاري:"قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن جعلها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يعرف، فالمعتمد ما في الصحيحين"[2].

وشواهد بطلان القصة أكثر من أن تحصى وهي:

" لا يقبل القول بموت جرو تحت سرير رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتبقى جثته تحت السرير أيامًا عديدة، بدون أن تخرج رائحتها المنتنة، أو أن ينتبه لها أحد.

كما لا يعقل أن ينقطع الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بسبب جرو، وما علاقة الجرو بالوحي، حتى ينقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم كلية؟ ، وهل كان مجيء الوحي يقتصر على المنزل[3].

المطلب الثاني: تعدد النزول وتكرره:

إن كانت الروايتان صحيحتين ولم نستطع ترجيح إحداهما ولا الجمع بينهما لتباعد الزمن بين أحداثهما، فقد ذهب العلماء إلى القول بتعدد نزول الآية.

قال الزركشي: وقد ينزل الشيء تعظيمًا لشأنه، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه[4].

ومثلوا لذلك بقوله تعالى :**(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)**[التوبة: ١١٣]، فقد ورد في نزولها أكثر من سبب:

1- أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: قَالَ :لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ρ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: أَيْ عَمِّ، قُلْ: لا إِلَهَ

---

(1) أخرجه الطبراني في الكبير 249/24، ح632، قال الهيثمي :"رواه الطبراني وأم حفص لم أعرفها" مجمع الزوائد، الهيثمي، ج7/ص138، وقال ابن عبد البر:" لا يحتج بإسناد حديثها. أي حديث خولة جدة حفص" أسد الغابة، ابن عبد البر، ج7/ص105.

(2) الإتقان، للسيوطي، 42/1، مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح ص 87-88.

(3) ينظر: اتقان البرهان، فضل عباس، ص298 .

(4) البرهان في علوم القرآن، ج1، ص29، 30 .

إلا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ :أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ρ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: وَاللهِ لاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فأَنزَلَ الله تعالى: **(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)**[التوبة: ١١٣]، وأَنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ρ: **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾**[القصص 56][1]

2 – وأخرج الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ρ يَنْظُرُ فِي الْمَقَابِرِ، وَخَرَجْنَا مَعَهُ، فَأَمَرَنَا فَجَلَسْنَا، ثُمَّ تَخَطَّا الْقُبُورَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَبْرٍ مِنْهَا فَنَاجَاهُ طَوِيلاً، ثُمَّ ارْتَفَعَ نَحِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ρ بَاكِيًا فَبَكَيْنَا لِبُكَائِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَتَلَقَّاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الَّذِي أَبْكَاكَ فَقَدْ أَبْكَانَا، وَأَفْزَعَنَا، فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «أَفْزَعَكُمْ بُكَائِي؟» فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ:" إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي رَأَيْتُمُونِي أُنَاجِي فِيهِ، قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا، فَأَذِنَ لِي فِيهِ، فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي الاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَيَّ :**(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)** [التوبة:١١٣]، حتى ختم الآية :**(وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ)**[التوبة: ١١٤]، فأخذني ما يأخذ الولد لوالده من الرقة فذلك الذي أبكاني[2].

فالرواية الأولى تذكر أن الآية نزلت في مكة لما حضرت أبا طالب الوفاة، والرواية الثانية تذكر أنها نزلت في المدينة، عندما جلس النبي صلى الله عليه وسلم علي قبر أمه، والسورة مدنية، فقد قال القرطبي:" سورة براءة مدنية باتفاق"[3] وفي المصحف أنها مدنية إلا الآيتين الأخيرتين.

فقد ذهب العلماء هنا إلى القول بتعدد نزول الآيات؛ لأنه لا يمكن الجمع بينهما لتباعد الزمن، فقد قال السيوطي بعد ذكره للروايات في الآية السابقة:" فنجمع بين هذه الأحاديث بتعدد النزول"[4].

---

(1) الحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، 3 / 246، ح4772.

(2) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، زيارة النبي ρ قبر أمه آمنة، 336/2 ، وقال أبو عبد الله الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه .

(3) الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي: ج8، ص61 .

(4) الإتقان، للسيوطي، ج1، ص98 .

والقول بتعدد النزول وتكرره هنا مرفوض، إذ لا يقال ذلك إلا عند تساوي الروايات في الصحة، ويتعذر الجمع بينها لتباعد الزمن، أما هنا فرواية البخاري صحيحة ورواية الحاكم ضعيفة.

قال الإمام الذهبي في التلخيص تعليقًا على رواية الحاكم: "أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين[1]، وقال في سير أعلام النبلاء :"هذا من غرائب الحديث"[2].

وعليه فالراجح رواية الإمام البخاري، وحسبك بها قوة، ولا يعكر عليه كون السورة مدنية، إذ لا يمنع ذلك أن تكون هذه الآية مكية.

وإذ قد تبين لنا ما سبق، فالقول بتعدد النزول وتكرره للآية، فيه نظر لخلوه من دليل يؤيده.

المطلب الثالث: تعدد النازل والسبب واحد:

قد يكون أمر واحد سببًا لنزول آيتين أو آيات متعددة، ولا مانع في ذلك، إذ قد يكون سببًا في زيادة إقناع الناس وهدايتهم، وتوضيح الحق لهم، وهو أبلغ في الإقناع، وأظهر في البيان.

مثال ذلك: أخرج الترمذي عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لا أَسْمَعُ اللهَ ذَكَرَ النِّسَاءَ فِي الْهِجْرَةِ بِشَيْءٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ **(:فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)** [آل عمران: ١٩٥][3].

وأخرج الترمذي أيضاً عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلا تَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: **(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ)** [النساء: ٣٢]، قال مجاهد: فأنزل فيها﴿ ﴿**إن المسلمين والمسلمات**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوَّلَ ظَعِينَةٍ قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً. قال أبو عيسى: هذا حديث مرسل ورواه بعضهم عن بن أبي نجيح عن مجاهد مرسل أن أم سلمة قالت كذا وكذا[4].

---

(1) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، زيارة النبي ρ قبر أمه آمنة، 336/2 .

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، 505/12 .

(3) سنن الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، 221/5، ح3023، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، 300/2، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(4) سنن الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة النساء، 118/5، ح3308، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة النساء،2 /305، ووصححه وأقره الذهبي .

وأخرج الحاكم عنها أيضاً أنها قالت : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: يُذْكَرُ الرِّجَالُ، وَلا يُذْكَرُ النِّسَاءُ. فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ﴿**إن المسلمين والمسلمات**﴾[الأحزاب: ٣٥]. الآيَةَ. وَأَنْزَلَ :(**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ١٩٥][1].

فالآيات الثلاث السابقة نزلت على سبب واحد، وهو سؤال أم سلمة رسول الله ρ ولا يُبعِد هذا اختلاف صيغة السؤال، لجواز أن يكون سؤالها عاماً شاملاً لكل ما روي، ولكن بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال دون بعض، أو تذكر بعضه ونسي بعضًا.

المبحث السادس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[2].

ومعناه أن يأتي الجواب أعم من السبب، ويكون السبب أخص من لفظ الجواب. وذلك جائز عقلاً، وواقع فعلاً؛ لأنه لا محظور فيه ولا قصور، بل إن عمومه مع خصوص سببه موفٍ للغاية، ومؤدٍ للمقصود وزيادة.

بيد أن العلماء اختلفوا في حكمه: أعموم اللفظ هو المعتبر أم خصوص السبب؟

ذهب الجمهور[3] إلى أن الحكم يتناول كل أفراد اللفظ، سواء منها أفراد السبب، أو غير أفراد السبب، ولنضرب لك مثلاً حادثة قذف هلال بن أمية لزوجته، وقد نزل فيها قول الله تعالى: **(والذين يرمون أزواجهم)** [النور: 6] إلخ، نلاحظ فيها أن السبب خاص، وهو قذف هلال هذا، ولكن جاءت الآية النازلة فيه بلفظ عام –كما ترى– وهو لفظ **(الذين يرمون أزواجهم)** وهو اسم موصول، والموصول من صيغ العموم.

وقال غير الجمهور[4]: إن العبرة بخصوص السبب. ومعنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصورًا على الحادثة التي نزل هو لأجلها، أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية، إنما يعلم بدليل مستأنف آخر، وهو القياس الذي استوفى شروطه، فآية القذف السابقة النازلة بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها،"على هذا الرأي". أما حكم غيرها مما يشبهها، فإنما يعرف قياسًا عليها.

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ج2، ص416، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي .

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، 123/1، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة،155 .

(3) هو قول أحمد وأصحابه والحنفية ونص عليه الشافعي، واختاره الإمام فخر الدين والآمدي وأتباعهما. القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، لابن اللحام، ص318.

(4) وهو قول أبي ثور، والمزني، والقفال، وغيرهم. نهاية السول، الأسنوي 2/ 477، إرشاد الفحول، الشوكاني ص134.

ويجب أن نلحظ، أن الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم، محله إذا لم تقم قرينة على تخصيص لفظ الآية العام بسبب نزوله، أما إذا قامت تلك القرينة؛ فإنّ الحكم يكون مقصورًا على سببه لا محالة، بإجماع العلماء.

كما يجب أن نلحظ أيضًا أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء وهؤلاء إلى أفراد غير السبب. بيد أن الجمهور يقولون إنه يتناولهم بهذا النص نفسه، وغير الجمهور يقولون أنه لا يتناولهم إلا قياسًا أو بنص آخر.

وإلى هذا المعنى يشير ابن تيمية بقوله: "قد يجيء كثيرًا من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في كذا، لا سيما إن كان المذكور شخصًا، كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة قيس بن ثابت، وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية يختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإنّ هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق. والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب: هل يختص بسببه؟ لم يقل أحد أن عمومات الكتاب والسنة بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. والآية التي لها سبب معين إن كانت أمرًا أو نهيًا، فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كانت بمنزلته[1].

(1) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية، ص16.

المبحث السادس: الاستفادة من هذه المباحث في المنهج التعليمي والتربوي:

لا بد أن نقرر حقيقة أكيدة، وهي أن كل عناصر العلم الإنساني صالحة للتطبيق والاستفادة منها في حياتنا العملية والعلمية والتربوية.

فمن ناحية لغة العلم الإسلامي، وهي العربية، فهي لغة حضارية وهي لغة العلوم حيث إنها تضم أكثر من اثنى عشر مليون كلمة، أما جذورها فتبلغ 9273 جذرًا وهو يفوق الجذور الموجودة في مجموعة اللغات الهندية والأوروبية والتي لا تتجاوز 500 جذر فقط، ومعنى كثرة جذور العربية، إمكانية استخلاص آلاف المصطلحات والكلمات من هذه الجذور.

كما أن الإسناد الذي يتميز به العلم الإسلامي ما هو إلا شكل من أشكال توثيق المعلومات، ولا يوجد نظير له في غير العلوم الإسلامية.

أما بخصوص مواد"علوم القرآن" فالوحي يمثل مركزية المعلومات، وهذه المركزية تعطي نوعًا من الثقة والطمأنينة لدى المتلقي، فلذا يمكن الاستفادة من هذه الناحية في عملية إعداد المقررات الدراسية التي تلقى على الطلاب؛ حيث تقوم لجنة ثابتة منتقاة في كل العلوم بإعداد المناهج بطريقة تبعث على الثقة والطمأنينة وتعود بالنفع الكامل على جموع الطلاب والطالبات.

أما"المكي والمدني" فيمكن الاستفادة من بحوثه من خلال التقسيم في معرفة عوامل القوة والضعف في المجتمعات الإسلامية، والمدرسة تمثل نواة هذا المجتمع.

إن المجتمع القوي، ينبغي بالضرورة أن يتوافر فيه أساس فكري قوي، لكي يكّون بناء حضارته مستندًا إلى الإرادة الإنسانية وكرامة الإنسان ومسئوليته.

ولقد تمكّن الإسلام، رغم انحراف السياسة في وقت مبكر أن ينشئ قاعدة متينة؛ فالمجتمع المدني يقوم على خدمة معظم مصالحه، كخدمات التعليم وإقامة الشعائر الدينية والخدمات الاجتماعية والثقافية.

إن دراسة فكر هذه الأمة منذ تأسيسها على يد رسول الله ρ ومصادره وتطوره ورصد مواطن القوة والضعف يؤدي كل ذلك إلى التوازن الثقافي مع العالم المعاصر.

أما سنة التدرج، التي هي خاصية من خصائص التشريع الإسلامي، فيمكن الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم؛ بحيث يقوم المعلم بالتدرج في إلقاء المعلومات حتى يستوعبها الطلاب، وهذا التدرج ينظم عقل الطلاب والطالبات، بحيث تكثر الفائدة المرجوة من ذلك، وقد بينا التدرج عند الحديث عن حكم نزول القرآن الكريم منجمًا، كما أنه يمكن الاستفادة من العموم والخصوص في إقامة علاقة متينة بين المعلمين وطلابهم؛ حيث يسود مبدأ الثواب والعقاب على العدل، ويسود بين المسلمين (الطلاب والطالبات) المودة والأخوة، ويستشعر كل فرد من أفراد المسلمين حاجة أخيه إليه.

هذا بالإضافة إلى أن معرفة **أسباب النزول** وتقريبها للطلاب يجعلهم في حالة من الروحانية التي يتمثلون فيها عصر النبي ρ (عصر التنزيل) وما حدث فيه، فيتواصل الطلاب مع هذا العصر تواصلاً يؤدي بهم إلى أن يكونوا صالحين، يمثلون مجتمعًا إسلاميًا صالحًا.

أسئلة للمناقشة

1) عرّف سبب النزول، ثم اشرح التعريف.
2) ينحصر سبب النزول في أمرين، وضح ذلك.
3) بيّن الأسس التي يعتمد عليها العلماء في معرفة سبب النزول.
4) ما حكم أقوال الصحابة في أسباب النزول.
5) هل لكل آية سبب نزول؟ وضح ذلك.
6) لمعرفة أسباب النزول فوائد، اذكر ثلاثة منها مع الدليل.
7) هل تختلف عبارات الرواة في التعبير عن سبب النزول. وضح ذلك بالتفصيل.
8) اذكر فوائد معرفة صيغ أسباب النزول.
9) اذكر مثلاً لسبب نزلت فيه أكثر من آية.
10) بيّن المراد بقول العلماء "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" مع ذكر مثال.
11) ما أسس الترجيح بين الروايات الواردة في أسباب النزول؟
12) متى يجمع بين الروايات الواردة في أسباب النزول؟
13) قال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية" اشرح قول ابن تيمية معززًا إجابتك بالأدلة.

الفصل السادس: المُحْكم والمُتشابِه

المبحث الأول: تعريف المُحْكَم والمُتَشابِه لغة واصطلاحًا.

المطلب الأول: المعنى اللغوي للمُحْكَم والمُتشابِه:

لهذين اللفظين إطلاقات في اللغة، وإطلاقات في الاصطلاح؛ فاللغويون يستعملون مادة الإحكام في معان متعددة، لكنها مع تعددها ترجع إلى شيء واحد، هو المنع. فيقولون: أحكم الأمر، أي: أتقنه ومنعه عن الفساد.

وكذلك يستعملون مادة التشابه فيما يدل على المشاركة في المماثلة والمشاكلة، المؤدية إلى الإلتباس غالبًا. يقال: تشابها واشتبها؛ أي: أشبه كل منها الآخر حتى التبسا ويقال: أمور مشتبهة ومشبهة أي: مشكلة[1].

المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي:

يطلق المُحْكَم في لسان الشرعيين على ما يقابل المنسوخ تارة، وعلى ما يقابل المُتَشابِه تارة أخرى.

فيراد به على الاصطلاح الأول: الحكم الشرعي الذي لم يتطرق إليه نسخ[2].

ويراد به على الثاني: "ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره[3].

المطلب الثالث: آراء العلماء في معنى المُحْكَم والمُتشَابِه:

يختلف العلماء في تحديد معنى المُحْكَم والمُتشَابِه اختلافات كثيرة منها:

الأول: أن **المُحْكَم:** ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل. **أما المُتشَابِه:** فهو ما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة في أوائل السور[4].

الثاني: المُحْكَم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدًا من التأويل. **أما المُتشَابِه:** فهو ما احتمل أوجها متعددة[5].

---

(1) راجع: القاموس المحيط، للفيروزآبادي 100/4، والمصباح المنير، للفيومي 226/1، وشرح الكوكب المنير لابن النجار، 141/2.

(2) مناهل العرفان، للزرقاني، 272/2، وينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني، 32.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، 401/1.

(4) ينظر: الإتقان، للسيوطي، 2/2، المدخل إلى مذهب أحمد، لابن بدران، ص89، شرح الكوكب، لابن النجار 142/2.

(5) ينظر: الإتقان، للسيوطي، 2/2، إرشاد الفحول، الشوكاني ص 32.

الثالث: أن المُحْكَم: هو ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. **أما المُتشَابِه:** فهو ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره[1].

الرابع: أن المُحْكَم: ما كانت دلالته راجحة، وهو النص والظاهر. **أما المُتشَابِه:** فما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشكل[2].

الخامس: وقيل: المُحْكَم: الفرائض والوعد والوعيد. **والمُتشَابِه:** القصص والأمثال[3].

وعن عكرمة وقتادة: أن **المُحْكَم** الذي يعمل به. **والمُتشَابِه:** الذي يؤمن به ولا يعمل به[4].

ونحن إذا نظرنا في هذه الآراء، لا نجد بينها تناقضًا ولا تعارضًا، بل نلحظ بينها تشابهًا وتقاربًا؛ لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه، وإلى عدم وضوحه، وليس في القرآن ما لا معنى له.

ويمثل العلماء للمُحْكَم في القرآن: بناسخه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، ووعده، ووعيده.

وللمتشابه: بمنسوخه، وكيفيات أسماء الله، وصفاته التي في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: 5]، وقوله: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** [القصص: 88]، وقوله: **﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾**[الفتح: 10]، وقوله: **﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾**[الأنعام: 18]، وقوله: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾**[الفجر: 22]، وقوله: **﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾**[الفتح: 6]، وقوله: **﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾**[آل عمران: 31]، إلى غير ذلك، وأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم[5]، وفي قوله تعالى **﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾** [الصافات: 65].

---

(1) ينظر: النكت والعيون، 369/1، وزاد المسير، 350/1.

(2) ينظر: التفسير الكبير، 146/7، مناهل العرفان، للزرقاني، 2/ 274 .

(3) وقد استبعد الآمدي هذا القول. ينظر: الإحكام، الآمدي166/1، إرشاد الفحول، الشوكاني ص32، الإتقان، للسيوطي، 2/2.

(4) وهناك تعريفات أخرى للمحكم والمتشابه، وقد رد الغزالي أكثرها. ينظر: المستصفى، للغزالي 106/1، الإتقان، للسيوطي، 2/2، شرح النووي 217/16، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، زاد المسير، لابن الجوزي، 350/1، وعلى الإجمال فالخلاف في الاصطلاح أو ما يشبه الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح.

(5) مناهل العرفان، للزرقاني، 271/2.

وأجاب الجمهور بأن الحروف المقطعة، إما أسماء السور، أو أسماء الله تبارك وتعالى، أو سر الله تعالى في كتابه مما استأثر بعلمه، أو غيرها مما هو مذكور في التفاسير...[1]

وبأن رؤوس الشياطين مثل في الاستقباح على عادة العرب في ضرب الأمثال بما يتخيلونه قبيحًا. قال ابن قاضي الجبل: ورؤوس الشياطين: استقر قبحها في الأنفس فشبه بها كقول امرئ القيس.

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[2]

فشبهها بأنياب الأغوال لقبحها المستقر، وإن لم يكن لها حقيقة. كذلك ذكره المازري المالكي[3].

قال السيوطي: ومن المتشابه أوائل السور، **والمختار** فيها أيضًا أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى. أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال: إن لكل كتاب سرًا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور... [4].

المطلب الرابع: القرآن الكريم محكم ومتشابه:

جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم قال تعالى:**(الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾**[هود: 1].

وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه، إذ قال تعالى:**(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾** [الزمر: 23].

وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم، وبعضه متشابه، إذ قال عز اسمه:﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)** [آل عمران: 7].

ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة:

لأن معنى إحكامه: كونه كلامًا حقًا، فصيح الألفاظ، صحيح المعاني، لا اختلاف فيه ولا اضطراب، ومعنى كونه متشابهًا: أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضًا[5].

---

(1) ينظر: الإحكام للآمدى، 167/1، تفسير الطبري، 86/1، تفسير القرطبي، 154/1، زاد المسير، لابن الجوزي20/1، فواتح الرحموت، للسهالوي 17/2.

(2) البيت من البحر الطويل. ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز ص 80، ديوان امرئ القيس ص33، معجم شواهد العربية، لإميل بديع310/1.

(3) ينظر: شرح الكوكب، لابن النجار145/2.

(4) الإتقان، للسيوطي، 12،11/2.

(5) التفسير الكبير، للرازي، 145/7 .

وأما أن بعضه محكم وبعضه متشابه: فمعناه أن من هذا القرآن ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم. فالأول هو المحكم، والثاني هو المتشابه على خلاف بين العلماء، بيد أن الذي اتفقوا عليه ولا يمكن أن يختلفوا فيه هو أنه لا تنافي بين كون القرآن كله محكمًا؛ أي متقنًا وبين كونه كله متشابهًا، أي يشبه بعضه بعضًا في هذا الإتقان والإحكام وبين كونه منقسمًا إلى ما اتضحت دلالته على مراد الله وما خفيت دلالته. بل إن انقسامه هذا الانقسام محقق لما فيه كله من إحكام وتشابه بالمعنى السابق[1].

المبحث الثاني: هل المتشابه مما يمكن معرفته؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين:

الأول: إنه يمكن الاطلاع على علم المتشابه للراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، واختار هذا القول الإمام النووي، ومعظم المتكلمين، فقال في (شرح مسلم): إنه الأصح، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق معرفته.

ويبدو أنه لا بد من بقاء بعض المتشابه الذي لا يمكن للناس الاطلاع على علمه، والذي يبقى تأويله مختصًا بالله تعالى[2].

الثاني: أنه لا يمكن لأحد الاطلاع على علمه، ولا يعلمه إلا الله، وأما الراسخون في العلم فإنهم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا.

قال البغوي في تفسيره: هو قول الأكثرين منهم أبي بن كعب وعروة بن الزبير ورواية عن ابن عباس وبه قال الحسن وأكثر التابعين واختاره الكسائي والفراء والأخفش[3].

ويقف القارئ على الأصح على(إِلَّا اللَّهُ)لفظًا ومعنى لا على(وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[4] وقال بذلك السيوطي.

---

(1) مناهل العرفان، للزرقاني، 2/ 271

(2) شرح النووي على مسلم 218/16، الإتقان، للسيوطي، 3/2، الدر المنثور، للسيوطي 8/2، المستصفى، للغزالي 106/1، مختصر ابن الحاجب، 21/2، شرح الكوكب، لابن النجار، 152/2،153.

(3) تفسير البغوي، 1/ 412 .

(4) ينظر: الإحكام لابن حزم، 492/1، إرشاد الفحول، الشوكاني، ص32، تفسير القاسمي، 795/4، تفسير البغوي 321/1، تفسير الخازن، 321/1، الإتقان، للسيوطي، 4/2، فواتح الرحموت، للسهالوي 18/2.
وتمام الآية ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾ آل عمران/7.

المبحث الثالث: أنواع المتشابهات.

المطلب الأول: أنواع المتشابهات:

أفاض العلماء في ذكر أنواع المتشابهات، دون المحكم؛ لأن الموضوع شائك بالنسبة إلى المتشابه، فذكروا أن المتشابه ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعًا أن يصلوا إليه، كالعلم بذات الله صفاته، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه من الغيوب التي استأثر الله تعالى بها:(**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59))** [الأنعام: 59] وقوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34))** [لقمان: 34].

النوع الثاني: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس، كالمتشابهات التي نشأ التشابه فيها من الإجمال والبسط والترتيب ونحوها.

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم، ولذلك أمثلة كثيرة من المعاني العالية التي تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله.

قال الراغب: المتشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج الدابة، ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة وضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم. وهو المشار بقوله ρ لابن عباس:"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[1].

المطلب الثاني: آيات الصفات:

من المتشابه آيات الصفات نحو قوله تعالى﴿﴿**الرحمن على العرش استوى)**طه: 5] وقوله :﴿**كل شئ هالك إلا وجهه)** [القصص:88] وقوله:(**يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح:10]، **وقوله**﴿ **(وجاء ربك والملك صفا صفا** ﴾[الفجر: 22]، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها.

---

(1) نقل السيوطي هذا التقسيم عن الراغب الأصفهاني في "المفردات". ينظر الإتقان، للسيوطي، 7/2، المفردات ص 255، مناهل العرفان، للزرقاني، 282/2.

روى اللالكائي عن أم سلمة في قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: 5] قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ وِالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ"[1] .

وروي عن مالك نحو ذلك[2].

وعن أبي سُلَيْمَانَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾؟[طه: 5]؟ فَقَالَ: هُوَ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا أَخْبَرَ[3].

المطلب الثالث: أقوال العلماء في آيات الصفات[4]

المذهب الأول: وهو مذهب السلف، ويسمى مذهب المفوضة، وهو تفويض معاني المتشابهات إلى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة. قال ابن الصلاح:"على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها، وإياها اختار الأئمة الفقهاء وقادتها، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه. ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها.

المذهب الثاني: مذهب الخلف، ويسمى مذهب المؤولة، وهم فريقان:

1. التأويل بصفات سمعية غير معلومة على التعيين، ثابتة له تعالى، زيادة على صفاته المعلومة لنا بالتعيين وينسب إلى أبي الحسن الأشعري.
2. التأويل بصفات أو بمعان نعلمها على التعيين، ويليق بالله عقلاً وشرعًا، وينسب إلى ابن برهان وجماعة من المتأخرين، ورجع عنه إمام الحرمين بعد أن قال به فترة.

المذهب الثالث: مذهب المتوسطين، وينسب إلى ابن دقيق العيد.

قال السيوطي: "وتوسط ابن دقيق العيد فقال: " إذا كان التأويل قريبًا من لسان العرب لم ينكر، أو بعيدًا، توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه. وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرًا مفهومًا من تخاطب العرب، قلنا به من غير توقيف كما في قوله تعالى﴿

---

(1) شرح أصول الاعتقاد لهبة الله اللالكائي، 440/3، وأشار إلى هذه الرواية ابن حجر في الفتح، 406/13، وابن تيمية في الفتاوى، 365/5 .

(2) شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي،441/3، وينظر:الأسماء والصفات للبيهقي، ص408،الفتح لابن حجر، 406/13.

(3) شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، 442/3.

(4) الإتقان، للسيوطي، 8/2، مناهل العرفان، للزرقاني،2/ 289، دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل ص 197، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، النبهان ص184، دراسات في علوم القرآن– فهد الرومي ص: 405، الواضح في علوم القرآن، لمصطفى الديب، ص131 .

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[الزمر: ٥٦] فنحمله على حق الله وما يجب له[1].

والأوْلى من هذه المذاهب، اتباع مذهب السلف وصدر الأمة وساداتها والأئمة الفقهاء وأئمة الحديث وأعلامه.

المبحث الرابع: الحكمة من المتشابه

ما الحكمة في إنزال المتشابه ووجوده؟

الجواب: أن حكم المتشابه يختلف بالنسبة إلى ما يمكن علمه، وإلى ما لا يمكن علمه.

المطلب الأول: حكم المتشابه الذي لا يمكن علمه (ما استأثر الله بعلمه).

أولاً: رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف، الذي لا يطيق معرفة كل شيء. وإذا كان الجبل حين تجلّى له ربه جعله دكا، وخر موسى صعقًا، فكيف لو تجلىّ سبحانه بذاته وحقائق صفاته للإنسان؟ ومن هذا القبيل أخفى الله على الناس معرفة الساعة رحمة بهم، حتى لا يقعد بهم التكاسل عن الاستعداد لها، وكي لا يفتك بهم الخوف والهلع لو أدركوا شدة قربها منهم. ولمثل هذا حجب الله عن العباد معرفة آجالهم، ليعيشوا في بحبوحة من أعمارهم. فسبحانه من إله حكيم، رحمن رحيم.

ثانيًا: الابتلاء والاختيار: ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ، وإن لم يجز العمل بما فيه.

ثالثًا: إقامة الدليل على عجز الإنسان وجهالته، مهما عظم استعداده وغزر علمه، وإقامة شاهد على قدرة الله الخارقة، وأنه وحده هو الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأن الخلق جميعًا لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

رابعًا: إقامة الحجة على العرب البلغاء، لأن القرآن نزل بلسانهم ولغتهم، ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه، فدل ذلك على أنه تنزيل من حكيم حميد.

خامسًا: لو كان القرآن كله محكمًا لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد، وبالتالي بطلان بقية المذاهب المخالفة، وذلك منفر لأرباب المذاهب الأخرى عن النظر فيه، فوجود المتشابه والمحكم فيه مطمع لكل ذي مذهب؛ أن يجد فيه كل ما يؤيد مذهبه[2].

المطلب الثاني: حكم المتشابه الذي يمكن علمه:

أولاً: حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه.

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 16/3 .

(2) الإتقان، للسيوطي، 35/3، مناهل العرفان، للزرقاني، 282/2.

ثانيًا: ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات، إذ لو كان القرآن كله محكمًا لا يحتاج إلى تأويل ونظر؛ لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره.

ثالثًا: الحصول على الثواب الأكبر؛ لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيدًا من الثواب.

رابعًا: تحصيل العلوم الكثيرة؛ لأن معرفة المتشابه توجب التعمق في معرفة النحو والمعاني وغيرهما، والوقوف على أساليب العرب والعلوم الاخرى.

خامسًا: تيسير حفظ القرآن والمحافظة عليه؛ لأن كل ما احتواه من تلك الوجوه المستلزمة للخفاء دال على معان كثيرة، زائدة على ما يستفاد من أهل الكلام.

أسئلة للمناقشة:

1) عرّف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحًا.
2) اذكر آراء العلماء في معنى المحكم والمتشابه.
3) جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم، وما يدل على أنه كله متشابه، وما يدل على أن بعضه محكم، وبعضه متشابه، اذكر الآيات التي تدل على ذلك ووفق بينها.
4) هل المتشابه يمكن معرفته؟
5) بيّن أنواع المتشابهات.
6) بيّن أقوال العلماء في آيات الصفات.
7) ما الحكم من المتشابه الذي لا يمكن علمه؟
8) وما الحكم من المتشابه الذي يمكن علمه؟

الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ

المبحث الأول: تعريف، وحكمه، وشروطه:

المطلب الأول تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:

النسخ لغة: يطلق بمعنى **الرفع والإزالة**، ومنه يقال: نسخت الشمس الظل؛ أي أزالته. ونسخت الريح التراب والآثار، ويطلق **بمعنى نقل** الشيء من موضع إلى موضع، ومنه نسخت الكتاب: إذا نقلت ما فيه، ومنه قوله تعالى:﴿**إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1][الجاثية:29]، يعنى: نكتبه وننسخه.

والنسخ في الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ.

دلالة التعريف: قال البعض:"بخطاب شرعي" والدليل الشرعي أحسن؛ لأن الفعل داخل في الدليل دون الخطاب.

وقوله: متراخ: احتراز من التخصيص؛ لأن التخصيص يأتي متراخيًا ومتصلاً أو مقارنًا.

وزوال الحكم بالموت والجنون ليس بنسخ، والحكم: ما تعلق بالمكلف بعد وجوده أهلا [2].

ويطلق الناسخ على الله تعالى كقوله:﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾ [البقرة: 106]، وعلى الآية، فيقال: هذه الآية ناسخة لآية كذا، وعلى الحكم الناسخ لحكم آخر.

والمنسوخ هو الحكم المرتفع بناسخ، فآية المواريث مثلاً أو ما فيها من حكم ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين.

ولا يكون الناسخ أضعف من المنسوخ عند الأكثر[3].

ولا نسخ مع إمكان الجمع بين الدليلين؛ لأنا إنما نحكم بأن الأول منهما منسوخ إذا تعذر علينا الجمع، فإذا لم يتعذر وجمعنا بينهما بكلام مقبول أو بمعنى مقبول، فلا نسخ[4].

المطلب الثاني: حكم النسخ قبل وقت الفعل:

---

(1) ينظر مادة(نسخ) في لسان العرب، لابن منظور، 61/3، الصحاح، للجوهري، 433/1، تاج العروس، للزبيدي، 355/7 .

(2) في تعريف النسخ ومحترزات التعريف ينظر: العدة، لأبي يعلى، 778/3، نهاية السول، الأسنوي 162/2، إرشاد الفحول، الشوكاني ص184، أصول السرخسي 54/2، المستصفى، للغزالي 107/1، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 155/3، شرح الكوكب، لابن النجار 526/3.

(3) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص 187، المستصفى، للغزالي 124/1، نهاية السول، الأسنوي 179/2، العدة، لأبي يعلى، 788/2.

(4) ينظر: العدة لأبي يعلى 835/3، المسودة، لابن تيمية ص 229 وما بعدها.

يجوز النسخ قبل وقت الفعل، أي قبل دخول وقت الفعل عند الحنابلة وأكثر الشافعية والأشعرية، وقد ذكر الآمدى أن هذا قول أكثر الفقهاء. ومنعه أكثر الأحناف والمعتزلة[1].

والدليل على الجواز: ما روى عن أبي هريرة أنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ρ فِي بَعْثٍ فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُمْ فُلانًا وَفُلانًا فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ: إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وَفُلانًا وَإِنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إِلا اللهُ فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا[2].

المطلب الثالث: شروط النسخ:

1. أن يكون الحكم المنسوخ حكمًا شرعيًا؛ أي قد ثبت بالشرع.
2. أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم دليلاً شرعيًا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه.
3. ألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيد بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يعد هذا نسخًا.
4. لا يجوز النسخ بالإجماع أو القياس؛ لأن الإجماع حجة انعقدت بعد انقطاع الوحي. أما القياس ؛ فلأنه يستنبط من أصل، فلا يصح نسخه مع بقاء الأصل المستنبط منه.
5. قال"مكي" (ت37هـ) في كتابه (الناسخ والمنسوخ):"ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعرًا بالتوقيت والغاية مثل قوله في سورة البقرة:﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ [البقرة: 109] محكم غير منسوخ؛ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه.

المبحث الثاني: ما يقع فيه النسخ

مما سبق، يتبين لنا أن النسخ لا يكون إلا في الأوامر والنواهي، سواء أكانت صريحة في الطلب أو كانت بلفظ الخبر الذي بمعنى الأمر أو النهي، على أن يكون ذلك غير متعلق بالاعتقادات التي ترجع إلى ذات الله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر، أو الآداب الخلقية، أو أصول العبادات والمعاملات؛ لأن الشرائع كلها لا تخلو من هذه الأصول، وهي متفقة فيها، قال تعالى:﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾[الشورى: 13] وقال:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾[البقرة: 183]

وقال:﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا**﴾[الحج: 27]

وقال في القصاص: ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾[المائدة: 45].

---

(1) ينظر الأحكام للآمدي 126/3، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 169/3، نهاية السول، الأسنوي 173/2، المستصفى، للغزالي 112/1،113.

(2) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، 4/ 61، ح3016.

وقال في الجهاد: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ**﴾[آل عمران: 146]، وفي الأخلاق: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ **[** لقمان: 18].

كما لا يدخل النسخ الخبر الصريح الذي ليس بمعنى الطلب كالوعد والوعيد.

أما العقائد: فلأنها حقائق ثابتة صحيحة لا تقبل التغيير والتبديل، فبدهي ألا يتعلق بها نسخ.

وأما أمهات الأخلاق: فلأن حكمة الله في شرعها، ومصلحة الناس في التخلق بها أمر ظاهر لا يتأثر بمرور الزمن، ولا يختلف باختلاف الأشخاص والأمم حتى يتناولها النسخ بالتبديل والتغيير.

وأما أصول العبادات والمعاملات: فلوضوح حاجة الخلق إليها باستمرار، لتزكية النفوس، وتطهيرها، ولتنظيم علاقة المخلوق بالخالق والخلق على أساسهما، فلا يظهر وجه من وجوه الحكمة في رفعها بالنسخ[1].

المبحث الثالث:أهمية النسخ، وحكمته، وطرق معرفته.

المطلب الأول: أهمية معرفة النسخ:

ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد روى أن عليًا τ مر بِقَاصٍّ، فَقَالَ:أَتَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لا قَالَ:"هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ"[2].

وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[البقرة: 269] قال: الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ، نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَمُقَدَّمِهِ وَمُؤَخَّرِهِ وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْثَالِهِ"[3].

المطلب الثاني: حِكَم النسخ[4]:

1 . ترقية الأمة وتدرجها إلى مرتبة الكمال، فالله تعالى تعهد هذه الأمة بما يرقيها ويمحصها، وقد جاءت الشريعة متلطفة في دعوة الناس، متدرجة بهم إلى الكمال، صاعدةً بهم في مدارج الرقي شيئًا فشيئًا، ومن الصعب إلى الأصعب. وهذه الحكمة تتجلى فيما إذا كان الحكم الناسخ أصعب من المنسوخ.

---

(1) ينظر: مناهل العرفان، للزرقاني، 212/2، إرشاد الفحول للشوكاني ص188، دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص247 .

(2) مصنف عبد الرزاق، كتاب الجمعة، باب ذكر القصاص،220/3،ح5407، وينظر: الإتقان، للسيوطي، 27/2.

(3) أخرجه ابن جرير في تفسيره، 576/5 . وينظر الإتقان، للسيوطي، 3/2.

(4) مناهل العرفان، للزرقاني، 196/2.

2 . أما إذا كان الحكم الناسخ هو الأسهل، فالتخفيف على الناس، معناه إظهار رحمة الله تعالى عليهم وبيان فضله، وفي ذلك إغراء لهم على المبالغة في شكر الله وحمده ومحبة دينه.

3 . أما التساوي بين الناسخ والمنسوخ فحكمته الابتلاء والاختبار ليميز الله الخبيث من الطيب.

4 . أما حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم، حتى يشهدوا أنّ هذا الدين هو الدين الحق، وأن الرسول هو نبي الصدق، يضاف إلى ذلك ما يكتسبونه من الثواب على هذه التلاوة، والوقوف على ما حوته تلك الآيات المنسوخة من بلاغة.

المطلب الثالث: طرق معرفة النسخ:

1. أن يكون في أحد النصين ما يدل على تعيين المتأخر منهما.
2. إجماع الأمة على تعيين المتقدم والمتأخر منهما.
3. وروده عن أحد من الصحابة بطريق صحيحة كأن ينص الصحابي على نزول هذه الآية بعد ذلك.

المبحث الرابع: آراء العلماء في حقيقة النسخ وأدلته.

والناس في النسخ على أربعة أقسام:

1 . اليهود: ينكرونه ويزعمون أن النسخ يستلزم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون ذلك: أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على الله، وإما أن يكون لحكمة ظهرت ولم تكن من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو محال على الله تعالى [1].

واستدلالهم هذا فاسد؛ لأن كلاً من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم لله تعالى من قبل، فلم يتجدد علمه بها. وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قبل بمقتضى حكمته وتصرفه المطلق في ملكه.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها. وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله، قال تعالى في إخباره عنهم: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [آل عمران:93] وقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: 146]، وثبت في التوراة أن آدم كان يزوج من الأخت. وقد حرم الله ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني اسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم [2].

2 . الروافض: غالى هؤلاء في إثبات النسخ وتوسعوا فيه، وأجازوا البداء على الله تعالى، فهم مع اليهود على طرفي نقيض، واستدلوا على ذلك بأقوال نسبوها إلى علي τ زورًا وبهتانًا، وبقوله تعالى:﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد: 39] على معنى أنه يظهر له المحو والإثبات.

وذلك إغراق في الضلال، وتحريف للقرآن؛ فإن معنى الآية: ينسخ الله ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، والمحو والإثبات موجود في كثير من الحالات، كمحو السيئات بالحسنات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود:114] ومحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة وإثبات إيمانهم وطاعتهم[3]. ولا يلزم من ذلك الظهور بعد الخفاء، بل يفعل الله هذا مع علمه به قبل كونه.

ولا يجوز البداء على الله عز وجل، وهذا عند كافة المسلمين، بخلاف النسخ فهو جائز وواقع، والفرق بينهما واضح بين، قال الشيرازي: إن البداء أن يظهر له ما كان خفيًا، ونحن لا نقول فيما ينسخ أنه ظهر له ما كان خافيًا عليه، بل نقول: إنه أمر به وهو عالم أنه يرفعه في

---

(1) شرح الكوكب، لابن النجار 536/3.

(2) ينظر: إرشاد الفحول، الشوكاني ص 185، النسخ في القرآن، د مصطفى زيد 27/1، الملل والنحل للشهرستاني 215/1، الفصل في الملل، لابن حزم 99/1،، فواتح الرحموت، للسهالوي 55/2.

(3) الكشاف، للزمخشري،2/ 534 .

وقت النسخ، وإن لم يطلعنا عليه فلا يكون ذلك بداء. والقول بتجدد العلم – أي علم الله عز وجل– كفر بإجماع أئمة أهل السنة[1].

3 . أبو مسلم الأصفهاني[2]: وهو يجوّز النسخ عقلاً ويمنع وقوعه شرعًا، وقيل: يمنعه في القرآن خاصة محتجًا بقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: 42]. على معنى أن أحكامه لا تبطل أبدًا. ويحمل آيات النسخ على التخصيص. ورد عليه بأن معنى الآية أن القرآن لم يتقدمه ما يبطله من الكتب ولا يأتي بعده ما يبطله[3].

4 . جمهور العلماء: على جواز النسخ عقلاً ووقوعه شرعًا لأدلة:

أدلة جوازه سماعًا:

1. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾[النحل101]، ووجه الدلالة في هذه الآية أن التبديل يتألف من رفع لأصل وإثبات لبدل، وذلك هو النسخ، سواء أكان المرفوع تلاوة أم حكمًا.
2. وقال:﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: 106]
3. وفي الصحيح عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وَأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وَإِنَّا لَنَدَعُ مِنْ قَوْلِ أُبَيٍّ، وَذَاكَ أَنَّ أُبَيًّا يَقُولُ: لا أَدَعُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ρ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: ١٠٦][4].

أما أدلة جوازه عقلاً:

1 . أن لله تعالى أن يكلف عباده بما شاء لمصلحة ولغير مصلحة. وأحوال العباد تختلف من حال إلى حال، فيختلف التكليف لمصلحة العباد، ألا ترى أن الرجل قد يكون من مصلحته في: وقت البر واللطف، وفي وقت آخر مصلحته: التشديد والعنف، ويبين صحة هذا أن الطاهر تصوم وتصلي والحائض تمنع منهما[5].

---

(1) التبصرة، للشيرازي 253، شرح الكوكب، لابن النجار536/3، الإحكام لابن حزم446/4، الإحكام للآمدي109/3، اللمع، للشيرازي ص31.

(2) هو محمد بن بحر، المشهور بأبي مسلم الأصفهاني، معتزلي، من كبار المفسرين ولد(254هـ) وتوفى سنة 322هـ. أهم كتبه "جامع التأويل" في التفسير. ينظر: بغية الوعاة، السيوطي، 59/1 الوافي بالوفيات، الصفدي 244/2، طبقات المفسرين للداودي 106/2، لسان الميزان، لابن حجر، 89/5.

(3) ينظر: اضطراب النقول عن أبي مسلم في مسألة جواز النسخ وعدمه في شرح الجوامع للمحلى، 88/2، التبصرة للشيرازي ص 251. وعلى فرض أن الخلاف لفظي مع الجمهورفأبو مسلم قد أساء الأدب مع الله في تحمسه لرأي قائم على تحاشي لفظ اختاره الله سبحانه وتعالى.

(4) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها)، 19/6، ح4481 .

(5) العدة، لأبي يعلى 772/3.

2 . إن النسخ لو لم يكن جائزًا عقلاً وواقعًا سمعًا، لما ثبتت رسالة سيدنا محمد ρ إلى الناس كافة، لكن رسالته عامة للناس، ثابتة بالأدلة القاطعة، إذن فالشرائع السابقة ليست باقية، بل هي منسوخة بهذه الشريعة الختامية، وإذن فالنسخ جائز وواقع.

المبحث الخامس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة.

النسخ يرد في القرآن وقد يرد في السنة، وهو أقسام أربعة:

القسم الأول: نسخ القرآن بالقرآن، وهو أنواع:

1. نسخ التلاوة والحكم معًا.
2. نسخ الحكم دون التلاوة.
3. ونسخ التلاوة دون الحكم.

القسم الثاني: نسخ القرآن بالسنة: قد اختلف العلماء في هذا القسم بين مجوز ومانع ثم اختلف المجوزون بين قائل بالوقوع وقائل بعدمه.

والمجيزون هم المالكية وأصحاب أبي حنيفة والأشاعرة والمعتزلة.

والمانعون هم الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه وأكثر أهل الظاهر[1].

وهو نوعان:

ا–نسخ القرآن بالسنة الأحادية. والجمهور على عدم جوازه؛ لأن القرآن متواتر يفيد اليقين، والأحادي مظنون، ولا يصح رفع المعلوم بالمظنون.

ب–ونسخ القرآن بالسنة المتواترة. وقد أجازه مالك وأبو حنيفة وأحمد في رواية؛ لأن الكل وحي، قال تعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: 3–4] ومنعه الشافعي وأهل الظاهر وأحمد في الرواية الأخرى، لقوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[البقرة: 106] والسنة ليست خيرا من القرآن ولا مثله.

القسم الثالث: نسخ السنة بالقرآن: وهو جائز، فالتوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسنة، وليس في القرآن ما يدل عليه، وقد نسخ بالقرآن في قوله:﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:

---

(1) ينظر: العدة، لأبي يعلى 788/3، الرسالة، للشافعي، ص 108، تيسير التحرير، لأمير بادشاه، 203/3، شرح تنقيح الفصول، القرافي، ص311، الإحكام، الآمدي 477/4.

144] ووجوب صوم يوم عاشوراء، كان ثابتًا بالسنة[1] ونسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[البقرة: 185] ومنع هذا القسم الشافعي في إحدى روايتيه، وقال:"وحيث وقع بالسنة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعه سنة عاضدة، تبين توافق الكتاب والسنة"[2].

القسم الرابع: نسخ السنة بالسنة:

وتحت هذا أربعة أنواع:

نسخ سنة متواترة بمتواترة. ونسخ آحاد بآحاد.

ونسخ آحاد بمتواترة. ونسخ سنة متواترة بآحاد.

والثلاثة الأولى جائزة عقلاً وشرعًا- أما النوع الرابع فالجمهور على عدم جوازه[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، 43/3، ح2001 بسنده عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ρ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر".

(2) **تنظر المسألة في:** الرسالة، للشافعي، 311-345، تيسير التحرير، لأمير بادشاه 202/3، المستصفى، للغزالي،124/1، العدة، لأبي يعلى 802/3.

(3) **تنظر: المسألة في:** العدة، لأبي يعلى 826/3، شرح تنقيح الفصول، القرافي ص 314، المحصول، للرازي532،3، نهاية السول، الأسنوي 186/2، الإحكام لابن حزم 488/4، المستصفى، للغزالي، 126/1، كشف الأسرار، علاء الدين البخاري 175/3، شرح الكوكب، لابن النجار 570/3.

المبحث السادس: أنواع النسخ في القرآن:

والنسخ في القرآن ثلاثة أنواع:

أما النوع الأول: نسخ الحكم وبقاء التلاوة:

وهذا النوع لا خلاف فيه عند القائلين بالنسخ، وذكر العلماء فيه الآيات المتعددة. والتحقيق أنها قليلة.

ومثاله: نسخ حكم آية العدة للمتوفى عنها زوجها بالحول مع بقاء تلاوتها، فالعدة كانت في بدء الأمر حولاً، فنسخت إلى أربعة أشهر وعشرا، وهما جميعًا في القرآن، قال تعالى﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ**﴾ [البقرة: 240] نسخ بقوله﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)**﴾ [البقرة: 234] وذلك على ما ذهب إليه جمهور المفسرين[1].

ومثله آية المناجاة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾[[المجادلة: 12] فقد أخرج الترمذي عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: 12] قَالَ لِي النَّبِيُّ ρ: مَا تَرَى، دِينَارًا؟" قَالَ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَنِصْفُ دِينَارٍ؟ قُلْتُ: لا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: فَكَمْ؟" قُلْتُ: شَعِيرَةٌ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ" .قَالَ: فنزلت ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ..**﴾ [المجادلة: 13]. قَالَ: فَبِي خَفَّفَ اللهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ[2].

---

(1) ينظر: أحكام القرآن للجصاص414/1، فتح القدير للشوكاني 259/1، الدر المنثور، للسيوطي 309/1.
قال ابن كثير، رحمه الله عند تفسيره للآية: قَالَ الْأَكْثَرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِالَّتِي قَبْلَهَا وَهِيَ قَوْلُهُ: {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}. قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيع عَنْ حَبِيبٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكة، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} قَدْ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا –أَوْ تَدَعُهَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ .
وَمَعْنَى هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ لِعُثْمَانَ: إِذَا كَانَ حُكْمُهَا قَدْ نُسِخَ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ فَمَا الْحِكْمَةُ فِي إِبْقَاءِ رَسْمِهَا مَعَ زَوَالِ حُكْمِهَا، وَبَقَاءِ رَسْمِهَا بَعْدَ الَّتِي نَسَخَتْهَا يُوهِمُ بَقَاءَ حُكْمِهَا؟ فَأَجَابَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ تَوْقِيفِيٌّ، وَأَنَا وَجَدْتُهَا مُثَبَّتَةً فِي الْمُصْحَفِ كَذَلِكَ بَعْدَهَا فَأُثْبِتُهَا حَيْثُ وَجَدْتُهَا.ا.هـ.

(2) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ρ، باب: ومن سورة الجمعة، 329/5 ،ح3300.

وعن علي بن أبي طالب قال: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت. وقال"وما كانت إلا ساعة من نهار"[1].

وقد يقال: ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن القرآن، كما يتلى ليعرف الحكم منه، والعمل به، فإنه يتلى كذلك لكونه كلام الله فيثاب عليه، فبقيت التلاوة لهذه الحكمة.

وثانيهما: أن النسخ غالبًا يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيرا بالنعمة في رفع المشقة. وأما حكمة النسخ قبل العمل، كالصدقة عند النجوى، فيثاب على الإيمان به، وعلى نية طاعة الأمر.

النوع الثاني: نسخ التلاوة والحكم معًا.

وقد مثل له العلماء بما رواه مسلم وغيره عن عائشة أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ، فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ρ، وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ[2].

فنسخت العشر تلاوة وحكمًا بخمس، ونسخت الخمس تلاوة، وبقي حكمها عند الشافعية[3].

وهذا المثال فيه نظر.

أولاً: أن بعض الروايات تصف العشر –كما في رواية مسلم السابقة– بالمعلومات، وبعضها ليس فيه هذا الوصف، كما عند أبي داود[4].

ثانيًا: أن بعض الروايات تذكر أن رسول الله ρ توفي وهن مما يقرأ–كما في رواية مسلم السابقة– وبعضها تذكر أنه قد سقط من القرآن[5].

ثالثًا: أن بعض الروايات[6] تذكر أن العشر رضعات كانت أولا، ثم جاءت بعدها الخمس– كما في رواية مسلم السابقة– وبعضها يبين أن الخمس والعشر كانتا معًا.

فإذا كان هذا قرآنًا فلم الاختلاف الكبير فيه.

---

(1) فتح القدير للشوكاني 191/5، الدر المنثور للسيوطي 185/6.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات، 1075/2.

(3) ينظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، مكي بن أبي طالب، ص 44،45 وشرح الكوكب، لابن النجار 557/3.

(4) سنن أبي داود، كتاب النكاح ، باب هل يحرم ما دون خمس رضعات، 182/2، ح2062.

(5) سنن ابن ماجه، أبواب النكاح، باب لا تحرم المصة ولا المصتان، 122/3، ح1942.

(6) المصدر السابق، والمعجم الأوسط، للطبراني، 99/3، ح2611 .

قال أبو شهبة:" فاختلاف الرواية عنها يدل على أنه كان باجتهاد منها استندت فيه على ما ظهر لها من السنة، ولو كان قرآنًا لما نقل عنها كل هذا الاختلاف"[1].

قال فضل عباس :" وقد يقال : إن هذه الخلافات لا تؤثر فيه على هذه الرواية ويعتمد منها أصحها وهو ما جاء عند الإمام مسلم، لكن هذا الجواب لا يُذهب ما يُتصل بهذه الروايات من إشكالات، ولا يُذهب ما في النفوس من تساؤلات، فإذا كان هذا قرآنًا يقرؤه الناس فكيف يختلف الصحابة –رضوان الله عليهم– في عدد الرضعات المحرمة، وهذا الخلاف استمر بعد الصحابة إلى التابعين ومن بعدهم"[2].

وقد نفي كونه قرآنًا بعض العلماء، وإليك بيان ذلك:

قال الحافظ ابن حجر في الفتح، في معرض ذكر ما يقوي مذهب الجمهور القائلين بتحريم قليل الرضاع وكثيره: وأيضا فقول عائشة: عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فمات النبي ρ ، وهن مما يقرأ– لا ينهض للاحتجاج على الأصح من قول الأصوليين؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوي روى هذا على أنه قرآن، لا خبر، فلم يثبت كونه قرآنًا، ولا ذكر الراوي أنه خبر ليقبل قوله فيه[3].

وقال أبو شهبة:" إن هذه الرواية مهما صحت فهي آحادية لا يثبت بها قرآن؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، ثم هي أيضًا لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وهو القرآن الذي بين أيدينا اليوم، وغاية ما تدل عليه هذه الرواية أنها خبر لا قرآن.

وقال أيضًا:" ومما يدل على أنه ليس قرآنًا، وأنه كان تشريعًا ثابتًا بالسنة، ثم نسخ بالسنة اختلاف الرواية عنها في القدر المحرم"[4].

فمما سبق يتضح لنا عدم قرآنية ما جاء عن عائشة رضي الله عنها" كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات يحرمن، فنسخن بخمس معلومات"

النوع الثالث: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

واستدل العلماء لهذا النوع بآية الرجم.

وقد جاء التصريح بذكرها عند النسائي وغيره من حديث عمر رضي الله عنه وهي: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ"[5].

---

(1) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبوشهبة، 296.

(2) اتقان البرهان، فضل عباس: ص38.

(3) فتح الباري لابن حجر، 147/9 .

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لأبي شهبة، 295.

(5) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، 410/6، ح7135.

واستدلالهم بحديث عمر رضي الله عنه، فيه نظر.

1. أنه لم يأت التصريح عند البخاري بقوله الشيخ والشيخة[1]، قال ابن حجر:" ولعل البخاري هو الذي حذف ذلك عمدًا"[2].
2. قال النسائي:" لا أعلم أحدًا ذكر في هذا الحديث الشيخ والشيخة غير سفيان وينبغي أن يكون وهم في ذلك[3].
3. وقال الشيخ أبو شهبة:" هذه الروايات آحادية فهي لا يثبت بها قرآن، ولا تعارض القطعي الثابت بالتواتر، وغاية ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله، وسنة من السنن"[4].
4. أخرج مالك في موطئه عن عمر... وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي كِتَابِ اللهِ، لَكَتَبْتُهَا (الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا اَلْبَتَّةَ) فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا[5]. قال أبو شهبة:" إذ لا يقال: زاد لما عرف أنه منه، لكنه لما كانت عنده سنة مؤكدة وحكما لازما حث على حفظها وقراءتها ودراستها، حتى لا يغفل الناس عنها، كما حث على حفظ آي القرآن.
5. أنه ورد نصُّ الآية بعبارات مختلفة، فواحدة منها تذكر قيد الزنا بعد ذكر الشيخ والشيخة، وواحدة لا تذكره، وثالثة تذكر عبارة "نكالاً من الله"، ورابعة لا تذكرها، وما هكذا تكون نصوص الآيات القرآنية ولو نُسِخَ لفظها، وفي بعض هذه الروايات جاءت بعض العبارات التي لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة، مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسِّهَا على المسلمين[6].
6. قال الشيخ أبو شهبة:" وإن نظرة فاحصة في «الشيخ والشيخة... إلخ» لترينا أنها ليس عليها نور القرآن ومسحته، ولا فيها حكمته وإعجازه"[7].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، 168/8، ح6830.

(2) فتح الباري، لابن حجر، 143/12 .

(3) السنن الكبرى للنسائي، كتاب الرجم، تثبيت الرجم، 410/6، ح7135.

(4) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، 302، وينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، 250 .

(5) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب الرجم 2/ 824، والشافعي في ترتيب مسند الشافعي 81/2 وابن ماجة في الحدود، باب الرجم، 853/2

(6) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، 250.

(7) المدخل لدراسة القرآن الكريم، أبو شهبة، ص303.

قال أبو جعفر: "وإسناد الحديث صحيح إلا أنه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة ولكنه سنة ثابتة"[1].

وبعد البيان لهذه الأنواع يتبين لنا أن النوع الأول وهو (نسخ الحكم وبقاء لتلاوة) قد تحقق في القرآن الكريم، لذا فهو مقبول .

أما النوع الثاني والثالث: فمرفوضان؛ لأنهما لم يتحققا في واقعة واحدة.

المبحث السابع: النسخ إلى بدل وإلى غير بدل:

الحكم الذي ينسخ، إما أن يحل مكانه حكمًا آخر فهو النسخ ببدل، وإما لا، فهو النسخ بغير بدل وكلاهما جائز عقلاً وواقع سمعًا على رأي الجمهور[2].

1 . فالنسخ إلى غير بدل: كنسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله ρ في قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: 12].

نسخت بقوله: ﴿**أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا...**﴾ [المجادلة: 13] فرفع هذا التكليف من غير أن يكلف الناس بشيء مكانه، بل تركهم في حل من ترك الحكم الأول دون أن يوجه حكمًا آخر.

وأنكر بعض المعتزلة والظاهرية ذلك، وقالوا: إن النسخ بغير بدل لا يجوز شرعًا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ [البقرة: 106]. حيث أفادت الآية أنه لا بد أن يؤتي مكان الحكم المنسوخ بحكم آخر خير منه أو مثله[3].

ويجاب عن ذلك بأن الله تعالى، إذا نسخ حكم الآية بغير بدل، فإن هذا يكون بمقتضى حكمته، ورعايته لمصلحة عباده، فيكون عدم الحكم خيرًا من ذلك الحكم المنسوخ في نفعه للناس، ويصح حينئذ أن يقال: إن الله نسخ حكم الآية السابقة بما هو خير منها حيث كان عدم الحكم خيرًا للناس.

2 . النسخ إلى بدل أخف: مثل قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ [البقرة:187] الآية– فهي ناسخة لقوله: ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾ [البقرة:183]؛ لأن مقتضاها الموافقة لما كان عليه السابقون من تحريم الأكل والشرب والوطء إذا صلوا العتمة أو ناموا إلى الليلة التالية، كما ذكروا ذلك.

---

(1) الناسخ والمنسوخ، للنحاس، ص61 .

(2) ينظر: العدة، لأبي يعلى 785/3، مناهل العرفان، للزرقاني، 186/2.

(3) ينظر: شرح الكوكب، لابن النجار 545/3، الإحكام للآمدى 135/3، إرشاد الفحول، الشوكاني ص 187، المستصفى، للغزالي، 119/1، فواتح الرحموت، للسهالوي 69/2.

3 . النسخ إلى بدل مساو: كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه إلى الكعبة في قوله: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾**البقرة 144]**.

4 . والنسخ إلى بدل أثقل: كنسخ صوم يوم عاشوراء، بصوم شهر رمضان كله.

ونحوه كنسخ إباحة الخمر بتحريمها، ومنه أنه تعالى نسخ ما فرض من مسالمة الكفار المحاربين بما فرض من قتالهم وهو كره.

وهذا النوع محل خلاف، والجمهور على الجواز[1].

أسئلة للمناقشة:

1) عرّف النسخ لغة واصطلاحًا مع شرح التعريف
2) هل يقع النسخ قبل وقت الفعل؟ دلل على ما تقول.
3) وضح شروط النسخ.
4) بيّن ما يقع فيه النسخ ومالا يقع .
5) لمعرفة النسخ أهمية كبرى، وضح ذلك.
6) ما حكم النسخ؟ ، وما طرق معرفته؟
7) اذكر آراء العلماء في حقيقة النسخ مع ذكر أدلتهم .
8) اذكر أدلة جواز النسخ عقلاً وسمعًا
9) هل يجوز نسخ القرآن بالسنة؟
10) أكمل ما يأتي

أ. أنكر.....النسخ، بينما توسع فيه .....، وقال بجواز وقوعه عقلا وامتناع وقوعه شرعًا .....

ب. أنواع النسخ في القرآن ثلاثة هي .....، .....، .....

11) اذكر مثالا لنسخ السنة بالقرآن.
12) ما أنواع نسخ السنة بالسنة؟
13) ما وجه الدليل في قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]
14) اذكر مثالا لما يأتي:

أ- نسخ إلى بدل أخف.

---

(1) تفسير ابن كثير، 204/2.

ب–نسخ إلى بدل مساو.

ج– نسخ إلى بدل أثقل.

د– نسخ إلى غير بدل.

الفصل الثامن: القصص في القرآن الكريم.

مقدمة:

يمتاز القصص القرآني بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه؛ حيث يشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس، ويحمل الطباع، وينشر الحكمة والآداب.

لقد طرق القصص القرآني في التربية والتهذيب مذاهب شتى، فطورا تساق القصة مساق الحوار، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار، كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب وحكامهم.

لقد قص ذلك في قول بيّن، وأسلوب حكيم، ولفظ رائع، وافتنان عجيب؛ ليدل الناس على الخلق الكريم، ويدعوهم إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد.

لقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها، والقصص القرآني يمثل هذه النوعية من الفن تمثيلا قويا وبليغا؛ وذلك لتوافر الصدق فيه[1].

المبحث الأول: معنى القصص:

القصص: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى :﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[الكهف: 64]، أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال تعالى على لسان أم موسى. وقال تعالى:﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[القصص:11]، أي: تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. والقصص كذلك: الأخبار المتتبعة، قال تعالى:﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:62]، وقال تعالى :﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾ [يوسف: 111]، والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

وقصص القرآن: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

والقصص في القرآن الكريم لا يراد به سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنما هي عبرة للناس، كما قال تعالى في سورة هود، بعدما ذكر موجزا من سيرة الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، قال تعالى:﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]. ولذلك لا تذكر الوقائع والحوادث بالترتيب، ولا يراد فيها الاستقصاء.

---

(1) ينظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط. دار الجيل، بيروت.

قال ابن كثير: يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من الحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين. كل هذا مما نثبت به فؤادك، أي: قلبك يا محمد؛ ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة[1].

المبحث الأول: أنواع القصص في القرآن:

القصص في القرآن الكريم ثلاثة أنواع[2]:

النوع الأول- قصص الأنبياء: وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

ويحتل قصص الأنبياء جانبا غير قليل من السور المكية، ويتركز بصفة خاصة في مجموعة من السور، يحمل بعضها اسم واحد من الأنبياء. بالإضافة إلى سورة"الأنبياء" التي يشير اسمها إلى موضوعها، وتلك السور هي: الأعراف ويونس وهود ويوسف وإبراهيم والكهف ومريم وطه والأنبياء والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والصافات وص... غير إشارات عديدة جدا في كثير من السور المكية.

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم.

كقصة الذين أخرجوا من ديارهم، وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

النوع الثالث: قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ρ.

كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب وبنى قريظة في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

المبحث الثاني: أهداف قصص الأنبياء:

يجيء القصص في القرآن لأهداف شتى منها:

1- إثبات صدق الوحي المنزل على رسول الله ρ:

---

(1) تفسير ابن كثير 465/2.

(2) ينظر: في رحاب التنزيل ، إسلام دربالة ، 156، نفحات من علوم القرآن ، محمد أحمد معبد، 107.

يقول سبحانه:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: آية 3][1].

2- التسرية عن الرسول ρ فيما يلقاه من قومه تكذيب وأذى، واتهام بالسحر والجنون، فقد كذب الرسل من قبل، ووجه لهم نفس القول، ثم صبروا، قال تعالى:(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: آية 34][2].

ومع التسرية عن الرسول ρ، التسرية عن المؤمنين كذلك، وهم يلقون العنت والعذاب بسبب إيمانهم، فيعرض عليهم قصص الأمم السابقة؛ليعلموا أن هناك مؤمنين قبلهم أذيقوا ألوان العذاب والتشريد، ثم صبروا على عقيدتهم، ثم يخبرهم أن العاقبة للمتقين، إما بنصر في الحياة الدنيا يقدره الله، وإما بالجزاء الأوفى في الآخرة، وهنا ترد – كثيرا – عقيدية مع فرعون، وهو يسومهم سوء العذاب[3].

3- كذلك من أهداف القصص القرآني: إبراز حقيقة عقيدية مهمة،تبرز من خلال السرد التاريخي، وهي أن الأنبياء والرسل جميعًا،عليهم صلوات الله وسلامه، جاءوا بكلمة واحدة على تتابع الأجيال، هي: لا إله إلا الله، وقضية واحدة هي: اعبدوا الله مالكم من إله غيره.

هذا الهدف من أهم أهداف القصص القرآني، ويبدو بارزا، شديد البروز من خلال السرد القرآني، وتتخذ له وسائل شتى. فأحيانا يوجد أسلوب القصص (مع التنويع الواضح في القرآن) بحيث تجيء العبارة موحدة على لسان كل رسول في الشريط المتتابع للرسل، كل رسول يقول الكلمة ويمضي، ويأتي من بعده بنفس الكلمة بلا تغيير.

وتارة يقال عن قوم معينين إنهم كذبوا"الرسل" مع أنهم لم يرسل إليهم إلا رسول واحد، ليوحي التعبير بأن تكذيب الرسول الواحد هو بمثابة تكذيب للرسل كلهم؛ لأنهم يقولون ذات الشيء بلا تغيير، فمن كذب واحدا، منهم فقد كذبهم جميعا.

وتارة يقال عن أقوام متعددين: إنهم عصوا رسول ربهم، فيوضح ذلك، أن كل أمة كذبت رسولها، ويوحي في ذات الوقت أنه كأنما هو رسول واحد الذي بعث إلى هذه الأقوام جميعًا؛ لأنهم – على اختلاف أقوامهم، وأزمانهم وأماكنهم ولغاتهم – قد قالوا ذات الكلمة وعرضوا ذات القضية... ومن هنا فالرسل جميعًا كأنهم رسول واحد يتكرر لكل قوم من الأقوام.

---

(1) وينظر: هود: آية 49، طه: آية 99، 100، القصص: الآيات 44-46 .

(2) وينظر: الأعراف: الآيتان 101، 102، هود: آية 120، يوسف: آية 110، الفرقان: آية 31، ص: الآيات 4-15، فصلت: آية 43، الذاريات الآيتان 52، 53 .

(3) الأعراف: الآيات 129-137، القصص: الآيات 1-6، طه: الآيات 70-73.

فمن أمثلة النوع الأول ما جاء في سورة الأعراف قال تعالى:(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (66) قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (69) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (79) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (82) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85).[الأعراف: 59-85] [(1)].

ومن أمثلة النوع الثاني سورة الشعراء نفسها، التي جمعت بين الوسيلتين، إذ وحدت قول الرسل كلهم في عبارة واحدة، يكررها كل رسول، ثم جعلت كل قوم بمفردهم يكذبون"المرسلين" جميعا؛ بتكذيبهم للرسول الخاص الذي أرسل إليهم. وكذلك ما جاء في سورة الفرقان عن قوم نوح من أنهم كذبوا"الرسل"،مع أنهم كذبوا رسولهم الخاص وحده وهو نوح، عليه السلام. ولكن ذلك بمثابة تكذيب الرسل جميعا:(وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الفرقان: آية 37].

---

(1) وينظر: هود: آية 25-48، الشعراء: آية 105-180.

ومن أمثلة النوع الثالث ما جاء في سورة الحاقة:(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)[الحاقة: 4-10].

والتعبير – وإن كان يفهم منه أن كل فرقة من هؤلاء قد عصت رسولها – إلا أن اللفتة فيه واضحة، أن الرسل كلهم الذين أرسلوا إلى فرعون ومن قبله، والمؤتفكات، قد جمعوا في رسول واحد؛ لأن مهمتهم كلها واحدة، وقضيتهم كلها واحدة.. فكأنهم رسول واحد تكرر بعثه لكل فرقة منهم في حينها.

وكذلك ما جاء في سورة الشعراء عن موسى وهارون معا أنهما"رسول" رب العالمين:(قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (15) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17))[الشعراء: 15-17] وليس هناك لبس على الإطلاق في أن المتكلم اثنان معا لا واحد؛ لأن الأمر صار إليهما معا "فقولا"؛ ولأنهما يقولان"أن أرسل معنا بني إسرائيل" فموسى وهارون يتكلمان معا،وحتى لو فرضنا أن موسى وحده هو الذي يتكلم باسميهما معا فهو يقول"إنا" ولا يقول"أنا".. أي: أنه يتكلم بضمير المثنى لا المفرد، ومع ذلك يقول:"إنا رسول رب العالمين"؛ لأنهما – وهما شخصان – يقومان بمهمة واحدة ورسالة واحدة فكأنهما رسول واحد.

هذه القضية كما قلنا ذات أهمية خاصة في القرآن، وهي فضلا عن أهميتها العقيدية في تقرير وحدة الرسالة، ووحدة الألوهية، وأن توحيد الألوهية هو القضية الكبرى في حياة البشرية، بحيث يرسل الرسل المتتابعون من أجلها وحدها، وكل شيء بعد ذلك مترتب عليها. فضلا على هذا الجانب الاعتقادي، فإنه يعطي شعورا"بالانتماء" إلى أمة موحدة على تتابع الأجيال:(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[الأنبياء: 92].

4- ومن الأهداف المهمة كذلك الموازية في أهميتها لقضية وحدة الرسالة ووحدة الرسل، إبراز الموقف الموحد الذي يقفه أهل الباطل جميعا من رسلهم، الذين أرسلوا إليهم.

فكما أنها رسالة واحدة مكررة، وإن اختلف الأشخاص واللغات والزمان والمكان، فهي كذلك ضلالات واحدة مكررة، وإن اختلف الأشخاص واللغات والزمان والمكان:(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [الذاريات: 52-53].

إن موقف أهل الضلال واحد من كل رسول: التكذيب والإعراض... ثم التشهير بالرسول حين يتضح أنه مصر على دعوته، لم يثنه عنها إعراض ولا تكذيب.. ثم التهديد بالأذى له وللذين آمنوا معه... ثم تنفيذ التهديد أحيانا أو الحيلولة دون ذلك بقدر الله.

دورة واحدة، ودور واحد يقوم به أهل الكفر دائمًا إزاء هذه الدعوة البسيطة غاية البساطة، الخطيرة، غاية الخطورة.. دعوة لا إله إلا الله.

والقرآن يبرز هذا الدور إبرازا شديدًا في قصص الأنبياء. وقد كان من أهداف هذا الإبراز– ولا شك– أن يقال للرسول ρ وللمؤمنين: إن ما تفعله بكم قريش من اضطهاد وتعذيب، هو الذي صنعه كل أصحاب الضلالات من قبل في التاريخ... ثم كانت النهاية دائمًا هي انتصار الحق وتدمير المكذبين.

5– الابتلاء لابد أن يحدث للمؤمنين، وهذا الهدف من أهداف القصص القرآني ربما لم يكن منصوصًا عليه في القصص ذاته، ولكنه مفهوم من سياق القصص أولا، ومنصوص عليه كذلك في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كما جاء في أول سورة العنكبوت :(الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) [العنكبوت: 1–3].

إن القصص القرآني يقول لنا – من خلال السياق– إن الابتلاء هو سنة الله للمؤمنين.. ثم يقول إن الله هو الذي يضع المؤمنين في الابتلاء بقدر منه.. ويضع الظالمين في موضع الغلبة بقدر منه.. حتى إذا جاء أمر الله، جاء النصر للمؤمنين بقدر من الله، ووقع الهلاك بالمكذبين بقدر من الله كذلك [1].

(1) دراسات قرآنية: محمد خطاب، ص 99–111.

المبحث الثالث: فوائد القصص القرآني.

للقصص القرآني فوائد منها:

1- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي بعث بها كل نبي، قال تعالى :(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25].

2- تثبيت قلب رسول الله ρ وقلوب الأمة المحمدية على دين الله، وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله.

3- إظهار صدق محمد ρ في دعوته، بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.

4- مقارعة أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل، قال تعالى: (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)) [آل عمران: 93].

5- التنبيه على سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية، وكما عبر الشاطبي، فإنه ليس المراد بنفي كون قصص القرآن تاريخا، أن التاريخ شيء باطل ضار ينزه القرآن عنه، كلا، إن قصصه شذور من التاريخ تعلّم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ.

6- القصص ضرب من ضروب الأدب والعبر، يصغى إليه السمع، وترسخ عبره وأدبه في النفوس. قال تعالى:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[يوسف: 111].

المبحث الرابع: تكرار القصص وحكمته.

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن، وتعرض في صور مختلفة من التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

(1) التفنن بالبلاغة؛ لأن إفادة المعنى بالموجز منها بوجه أبلغ، كإفادته بصورة مطنبة من نوع الإعجاز والتحدّي.

(2) استيفاء القصة في موضع لم تستكمل فيه في الموضع الآخر.

(3) إن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة، وأساليب مختلفة، لا يخفى ما فيه من الفصاحة.

(4) لفت الانتباه إلى العناية والاهتمام بالمعنى المراد ترسيخه في النفوس.

(5) جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليبها.

(6) التكرار من أبرز صور الإعجاز؛ لأن كل قصة كررت، حصل في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وكلها في أعلى درجات البلاغة.

(7) الإعلام بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن بأي نظم جاء أو بأي عبارة عبر[1].

المبحث الخامس: القصة القرآنية حقيقة لا خيال..

المطلب الأول: مع دراسة لفكر هدام:

في المكتبة العربية (للأسف) دراسة تحت اسم (الفن القصصي في القرآن الكريم) كانت في الأصل رسالة دكتوراه من إعداد: محمد أحمد خلف الله، أشرف عليها وقدم لها وناضل عنها الأستاذ أمين الخولي، رحمه الله، وقال في تقديم الطبعة الثالثة لها[2]: إن الدكتور خلف الله:"من الذين آمنوا.. وآمنوا بالحق.. وآمنوا بالتطور فمضوا يدرسون القرآن دراسة فنية متجددة". مستفيدين من التقدم الفني والعقلي والاجتماعي. فانتهوا بذلك إلى أن قدموا التفسير الأدبي للقرآن خطوة للأمام

---

(1) ينظر: البرهان، للزركشي، 3/26-27، اللألئ الحسان في علوم القرآن، موسى شاهين، ص249-250 ، دار الشروق 2002م، نفحات من علوم القرآن، لمحمد معبد، ص108، وينظر: هذه مشكلاتهم، د. البوطي، ص113-115، بتصرف، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، د. عبد الجود المحص، الدار المصرية، الاسكندرية، 2000، ص146-152، بتصرف، موسوعة القرآن العظيم، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، 2003، 831/1.

(2) طبعتها مكتبة الأنجلو المصرية عام 1965م، وكانت قد طبعت من قبل عام 1953م،ثم عام 1957م، وقدم لها وعرضها خليل عبد الكريم، في طبعة سينا للنشر /4، 1999م.

بعيدة الأثر.. خطوة حسبها أن تمنع ازدواج الشخصية في المتدين.. ذلك الازدواج الذي يتجلى حين يدين مثقف بالإسلام واثقا موقنا.. ثم يدرك ويقرر: أن الإسلام وكتابه القرآن يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء، ويستغلها في ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء.. دون أن يكون ذلك حقا ملزما للمؤمنين".

ثم يقول أمين الخولي:"إن المؤمنين بالعلم وبالتطور وبالسنن الفنية قد حلوا تلك الأزمة[1]، بأن فرقوا بين العرض الفني الأدبي وبين العرض التاريخي، والأول هو منهج القرآن في قصصه. وعلى هذا يستطيع المثقف الراقي حين يتدين أن يعتقد في تسليم مطمئن بحديث القرآن الفني في قصصه، ومع ذلك يحقق ويحلل في عمق ووضوح تاريخ هاتيك الأحداث وأشخاص أصحابها، وينفي في ذلك ويثبت مطمئنًا إلى أن هذا لن يصادم بحال ما ذلكم العرض الفني الآخر[2]".

يتكلم خلف الله عن القصص القرآني فيقول:"إن التاريخ ليس من مقاصد القرآن، وإن التمسك به بمقياس الصدق التاريخي في القصص القرآني" خطر أي خطر على النبي عليه السلام وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة[3]".

ويقول:"إن المعاني التاريخية ليست مما بلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن في شيء، ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب الأحداث[4]".

وبعد أن يقرر هذه المقدمة السابقة القائلة بأن الصدق التاريخي لم يكن من مقاصد القرآن الكريم فيما عرض له من وقائع وقصص تاريخية؛ يرتب على هذه المقدمة نتيجة أهم وأخطر، حيث يقول:"ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل[5]. ولكن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن؛ لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض.

إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن التاريخ. ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق. ولم يقل بأن المخالفة لما في

---

(1) يعني: التي تواجه المسلم المثقف المتدين – كما يقول.

(2) ص: د، هـ من التقديم.

(3) الفن القصصي، لخلف الله ص 42.

(4) المصدر السابق ص 44.

(5) يعني: التي ذكرها القصص القرآني.

أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد. بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام".

ولما كان قد استشعر أن القارئ المسلم سيقول هنا: وما للقصص القرآني – وهو من عند الله – وما كانت تتصوره البيئة العربية وما كان في أدمغة العرب عن التاريخ؟! فإن خلف الله يقول بعد كلامه السابق مباشرة وفي أصرح عبارة:"أعتقد أنك قد فطنت إلى ما نريد تقريره من نظرية تحل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين: وأعتقد أنك قد فطنت إلى أن هذه النظرية ليست إلا القول بأن ما في القصص القرآني من مسائل تاريخية ليست إلا الصورة الذهنية لما يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام من التاريخ. وما يعرفه هؤلاء، لا يلزم أن يكون هو الحق والواقع، كما لا يلزم القرآن أن يصحح هذه المسائل أو يردها إلى الحق والواقع؛ لأن القرآن الكريم كان يجيء في بيانه المعجز على ما يعتقد العرب، وتعتقد البيئة، ويعتقد المخاطبون"[1].

إذن فنظرية خلف الله: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار ومجاراة لمعتقدات القوم الذين نزل فيهم. وهذا هو صنيعه البلاغي المعجز وأسلوبه البياني في التعبير – كما يقرره خلف الله.

ثم يقول:"أما الآيات التي يصف القرآن فيها بعض القصص بهذه الصفة"بالحق" من مثل قوله تعالى:(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[آل عمران: ٦٢] وقوله تعالى:(وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)[هود: ٢٠]– فليس فيها ما يدل دلالة قطعية على أن المقصود بهذه الصفة، إنما هي الأحداث التاريخية. بل لعل رأيا آخر هو الراجح، وهو أن هذه الصفة إنما تطلق على المقصود من هذا القصص من أمثال التوجيهات الدينية والأغراض القصصية".

لكن، ما الأسباب التي حملته على هذا كله؟ وأين تأكد من التناقض بين قصص القرآن والواقع التاريخي، حتى يذهب هذا المذهب؟

يقول: إن الملاحدة والمستشرقين والمبشرين وقفوا أمام مسائل من القرآن،جعلوا التاريخ مقياساً تقاس به صحة الأخبار فيها، فحاولوا بيان وجه المخالفة بين الأقاصيص القرآنية وما يعرفونه من تاريخ، ويذكر من ذلك:

---

(1) الفن القصصي، لخلف الله، ص 255.

1- قوله تعالى:(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ [آل عمران: 46]، فينقل عن الرازي أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر[1].

2- وفي آية:(يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: 28]، يروي خلف الله في تفصيل ما يذكره المبشرون والمستشرقون من أن النبي ρ- بزعمهم- كان يرى أن مريم أم المسيح،كانت أخت هارون أخي موسى عليهما السلام، مع أن بينه وبينهما من الزمن ألفا وخمسمائة وسبعين سنة.

ويعلق خلف الله على ذلك كله بقوله:" هذه الأقوال -وكثير غيرها- إنما كانت؛لأن المسلمين أنفسهم قد حرصوا الحرص كله على فهم القصص القرآني على أساس من التاريخ. ولو أنهم أعرضوا عن هذا الأساس وحاولوا فهم القرآن على أساس من الفن الأدبي؛ لأغلقوا هذا الباب الذي جاءت منه الريح، ولسدوا على المشركين والمبشرين السبل، وحالوا بينهم وبين الطعن على النبي عليه السلام وفي القرآن الكريم"[2].

أما هذا (الأساس من الفن الأدبي) فهو ما سبق أن قرره من أن القرآن استخدم الصور الذهنية والأساطير عند العرب الجاهليين استخداماً بلاغياً - كما يقول- لإثارة العواطف والانفعالات، بصرف النظر عن الصدق الواقعي.

ثم عن قوله تعالى:**(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86))** [الكهف:86]

فقال:"بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة لا تستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون"[3].

ويقول:" وبان للعقل الإسلامي أنه لا يستطيع أن يتصور مساعدة الملائكة للمسلمين في غزوتي بدر وأحد – اللهم إلا أن يكون حديث القرآن عن ذلك، حديث من يأخذ الناس بعقائدهم تقوية للروح المعنوية، وبثاً للأمل القوى بالانتصار السريع في النفوس"[4].

.... وبعد، فهذه هي نظرية خلف الله – ومن يدافعون عنها- في القصص القرآني، ومعنى (المجاز و الأسلوب البياني) فيها.

---

(1) ينظر: تفسير الرازي 5 – 35 .

(2) ينظر: الفن القصصي، لخلف الله، ص25-28 .

(3) المصدر السابق ص 34، وسنعود على ذلك كله بالمناقشة المفصلة فيما سيأتي إن شاء الله .

(4) المصدر السابق ص 36-37 .

ومن ثم لن نعجب حين يصرح بأن في القرآن أساطير، حيث يقول:" إننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير" ويمثل لها بقوله تعالى:(**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾[1] [البقرة: 259].

أما الإعجاز التعبيري في القرآن الكريم فهو يقول عنه بالحرف الواحد:" لقد تقرر أن القرآن إنساني العبارة، بشري الأسلوب، جاء على سنن العرب في بلاغتها وبيانها".

فهل بعد ذلك كله يأتي من يقول: إن القرآن لا يفهم على هذه القواعد أو تلك الأساليب؟

إن المسألة في القصة القرآنية هي بعينها مسائل الصور البيانية من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية...الخ، وأنها من هنا لا توصف لا بتصديق ولا بتكذيب، وإنما هي العرض الأدبي الذي يهز العاطفة ويستثير الوجدان"[2].

وفي تفسير ما قرره من بشرية الأسلوب القرآني – يقول:" القصص القرآني يمثل نفسية النبي، ويمثلها في أدق مراحلها وفي أعنف صورها". وفي سبيل تقرير ذلك يقارن بين أسلوب القرآن الكريم وما يرويه من ظروف النبي ρ النفسية[3].

المطلب الثاني: نقض وتقويم:

...هذا هو كتاب خلف الله، وهذه هي نظريته في تفسير القصص القرآني، التي بشر لها بأنها هي التي ستحل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين، والتي قال عنها أستاذه أمين الخولي إنها قد أصبحت كسبا فنيا، ووجها من الإعجاز القرآني عند أصحاب الدين والأدب.

***أولا*: خلف الله وأصحابه تابعون لا مؤصلون في هذا:**

فتلك دعوى قديمة قالها من قبل طه حسين في كتابه **(في الشعر الجاهلي)** حين زعم أن القرآن الكريم فيما ذكره عن إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) قد استغل أسطورة اختلقها يهود شبه الجزيرة العربية لإثبات صلتهم بالعرب، فجاء القرآن الكريم واستخدمها لتأكيد هذه الصلة وإثبات الاتصال بين (الإسلام) و(اليهودية) وبين(القرآن) و(التوراة)، مع مخالفة ذلك كله للواقع التاريخي، ومن ثم فالقرآن – كما زعم– كان يأتي بالأساطير الشائعة المخالفة للتاريخ والواقع في

(1) المصدر السابق ص 80–181.

(2) الفن القصصي، لخلف الله ص 137–138 .

(3) المرجع السابق: ص305،337 .

أصلها، ليحقق أهدافا له من وراء ذلك، فهو لا يراعي الصدق التاريخي والاتفاق من الواقع، إنما يستخدم ما في أذهان معاصريه من أساطير ليحقق أهدافاً له من وراء ذلك[1].

ولست أدرى هل كان أمين الخولي (الذي أيد مذهب تلميذه) يعرف أن طه حسين لم يكن هو أصل هذه الدعوى، بل كان ناقلاً لها كما نقلت عنه بعد؟ وإذا صرفنا النظر في هذا عن المستشرقين الذين تلقن طه حسين عنهم، فإننا نجد كتاباً يسمى **(ذيل مقالة في الإسلام)** قد طبع بمطبعة النيل لمن سمى نفسه بـ (هاشم العربي)، وإنما هو في حقيقته مبشر خبيث يحاول –في لؤم– تشكيك المسلمين في كتابهم (القرآن) بزعم أنه استخدم الأساطير والأكاذيب الشائعة، ومن يقارنه بكتاب طه حسين السابق، فسوف يتيقن في وضوح أن طه حسين لم يكن إلا ناقلاً عن هذا المتخفي تحت اسم (هاشم العربي). وقد أجرى المرحوم الشيخ محمد أحمد عرفة (الوكيل الأسبق لكلية الشريعة الإسلامية بمصر)مقارنة بين نصوص من الكتابين، أثبتت ذلك بما لا يدع احتمالاً للشك فيه[2].

بل إن الزعم بأن في القرآن الكريم أساطير وأكاذيب أقدم من هذا، وكما يقول ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم 213–276هـ) في كتابه **(تأويل مشكل القرآن)**: فقد"اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"[3].

بل إننا لو تقدمنا مع الزمن حتى عصر التنزيل، لوجدنا أنه لم يخل من اتهام القرآن الكريم بالأسطورة والكذب المناقض للواقع، وقد روى القرآن نفسه هذا الزعم في آيات متعددة، منها: قوله تعالى:(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (6)**) [الفرقان: 4 – 6].

***ثانيا*: محاولة باطلة لارتداء ثوب الدفاع عن القرآن الكريم:**

---

(1) ينظر: ص26 من الشعر الجاهلي.

(2) ينظر: نقض مطاعن في القرآن الكريم، محمد عرفة، ص101 وما بعدها، وقد طبع كتاب (ذيل مقالة في الإسلام) للمرة السادسة عام 1925م، وقد طبع من قبل سنة 1891م .

(3) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص17 وقد ألفه ابن قتيبة لنقض شبههم، وينظر أيضا: الأنفال 31، النحل 24، المؤمنون 83، النمل 68، الأحقاف 17، القلم 15، المطففين 13 .

يحاول خلف الله –ومن ناصروه– أن يزينوا لجمهور المسلمين نظريتهم السابقة في تنحية مقياس (الصدق) في النظر إلى القصص القرآني، وإبداله بمقياس (الفن الأدبي) الذي يبيح –كما قالوا– استخدام الأساطير والأكاذيب والصور الذهنية عند العرب الجاهليين، بحجة أن ذلك هو الذي يعفي القرآن من أن ينظر إليه المستشرقون والمبشرون بمقياس (الصدق) مع التاريخ، ومع الواقع الكوني والطبيعي، فينفتح لهم –كما قال– باب للطعن في صحته، لعدم اتفاقه مع التاريخ أو الواقع.

فهذه صورة مضحكة إذن للمدافع، حين يبدأ دفاعه بالتسليم بارتكاب الجرم، مع أن من يدافع عنه بريء، ناصع البراءة، كما سيتبين لنا إن شاء الله.

ثم إننا حين نأتي إلى العلل والأسباب التي ذكروها في (تبرير) تسليمهم باشتمال القرآن الكريم على أكاذيب وأساطير – فسنجد أنها علل متهافتة تؤيد– فيما تنتهي إليه ضمنيًا– القائلين بأن القرآن الكريم من كلام محمد ρ ، إذ لا يستقيم معها بحال، القول، بأن القرآن الكريم كلام الله القادر العالم بكل شيء؛ لأن هؤلاء يقولون: إن القرآن استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت تعرفها البيئة العربية وقت نزوله، تحقيقاً لعنصر التأثير في نفوس المعاصرين وتمكيناً للإيمان به في قلوبهم. فهل يستقيم مع هذا القول أن يكون القرآن قد نزل من عند الله ذي القدرة المطلقة التي لا يحدها حد؟

من الواضح أن الأمرين لا يتوافقان أبداً؛لأن الله تعالى – هو الحق القادر– أعظم من أن يلجأ في كتابه المنزل، الذي أنزله لهداية الخلق جميعاً– إلى استخدام الباطل والأكاذيب ليجتذب بها العرب من معاصري نزوله إلى الإيمان، وهو يعلم أن هذا الكتاب سيؤمن به غيرهم في أزمنة وأمكنة أخرى.

وهل يصح مثل هذا القول إلا بناء على عقيدة ترى أن الإسلام (دين محلي) نزل إلى عرب شبه الجزيرة في القرن السابع الميلادي، واجتذبهم إلى الإيمان بموافقته، لما كان عندهم من أوهام وخيالات وأباطيل تخالف التاريخ الحق؟

وهل يعقل أن الله تعالى لم يعلم حال من سيؤمن بالقرآن من غير هؤلاء، ممن تتكشف لهم حقيقة هذه (الأوهام)، كما زعم أصحاب هذه النظرية؟!

وألا يقودنا القول بذلك إلى سؤال بالغ الأهمية هو: كيف يلجأ الخالق–جل وعلا عما يقولون– إلى موافقة خيالات وأوهام العرب الجاهليين وقت نزوله، وهو القادر – بطريق القطع– على أن يصوغ كتابه المنزل من الحقائق المتفقة مع الواقع والتاريخ، التي تحدث أثرها من الموعظة والعبرة في نفس الوقت؟

...وهكذا نرى أن القول بالنظرية السابقة لا يستقيم أبداً مع الإيمان بأن القرآن (وحي إلهي)، إنما هو يستقيم، فحسب مع عقيدة ترى أنه بشري الطابع والأسلوب.

فالقرآن عند خلف الله وأصحابه"بشري الأسلوب، إنساني العبارة" لا يعنى في قصصه بالحق أو الوا قع، إنما يعنى فحسب بالتأثير في نفوس معاصري نزوله من العرب بموافقته لما عندهم من أوهام وخيالات باطلة، وصياغتها لهم في أسلوب مؤثر جذاب ! فهل يتفق هذا في شيء مع عقيدة أن القرآن الكريم إلهي التنزيل، نزل بالحق"؟[1].

لكن الأمور بحمد الله– تجري على غير ذلك، فما يباح لإنسان أن يقول في آيات نفى الافتراء والوصف بالحق، ما قاله خلف الله إلا بدليل من النص ومستند من أساليب البيان، وليس هناك –إطلاقاً– مثل هذا الدليل أو المستند الذي يبيح لخلف الله وأمثاله شيئاً من ذلك.

ولنستعرض هذه الآيات القرآنية لنرى ذلك في وضوح لا شبهة فيه:

يقول تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** [فصلت:41 – 42]. فإذا كان المضمون التاريخي في القصص القرآني –كما يزعم خلف الله وأصحابه– باطل في الحقيقة ونفس الأمر (وإن كان مطابقاً لما في نفوس المشركين أو غيرهم) ألا يكون معارضاً معارضة صريحة لمضمون هذه الآية، التي تنفي إمكان أن يتقحم الباطل إليه من بين يديه أو من خلفه؟

وما قولهم في وصف القرآن –بما فيه من قصص– بأنه(الحق) في قوله تعالى **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** [البقرة: 119]، وقوله :**(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)** [آل عمران: 62]، وقوله:(**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ)** [الأنعام: 57] وقوله(**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ)** [الكهف:13] وقوله(**نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [القصص: 3]، وقوله(**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ)** [فاطر: 31]، وقوله**(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)**[محمد: 2]؟

فقد أثبتت هذه الآيات كلها –وأمثالها في القرآن كثير– أن القرآن كله حق، نزل من عند الله، وآياته كلها حق، وقصصه كلها حق؛ لأن الله تعالى لا يقص إلا الحق، وهو يقص علينا نبأ أهل الكهف بالحق، ونبأ موسى وفرعون بالحق، وكل ما قصه وأوحى به، فهو الحق؛ لأن الله تعالى

---

(1) لإلقاء مزيد من الضوء على الزعم الاستشراقي التبشيري، القائل ببشرية القرآن الكريم، وأصداء هذا الزعم في بلادنا الإسلامية، راجع كتاب (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) للدكتور محمد البهي، ص225–248 حيث عرض فيه للمقارنة بين كتابي (المذهب المحمدي) للمستشرق الإنجليزي جب، و(في الشعر الجاهلي) لطه حسين – الذي سبق أن عرضنا له – والأول يعبر عن فكرة (بشرية القرآن) بأنه كان انطباعا في نفس محمد ρ، أما الثاني فيقول أنه كان تعبيرا عن الحياة التي عاشها .

لا يقول إلا الحق، وهو يهدي السبيل، ووحيه كله حق، وكتابه كله حق، لا يصل إليه الباطل والافتراء والكذب بأية وجه من الوجوه. وهل إذا لحق الافتراء هذه الأمور – كما يزعمون– يصح إطلاق وصف (الحق) في الآيات السابقة؟ وهل استخلاص العبرة ينافي أن يكون القصص المستخلص منه حقا؟

لقد أجابت عن هذا الزعم الباطل آخر آية في سورة يوسف وهي قوله تعالى:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)) [يوسف:111]، فالعبرة المستخلصة من القصص القرآني إنما تستخلص من قصص حق، لا افتراء فيه ولا أسطورة.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى:**(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)** [يونس: 32] فإذا كان كل ما في القرآن قد وصف بأنه (هو الحق) فهل يستقيم بعد هذا أن يتضمن شيئا ينسب إلى باطل، أو ضلال بمخالفته لحقيقة التاريخ أو الحقائق الكونية؟

وخلاصة القول في هذا: أن الله تعالى قد وصف وحيه المنزل في القرآن، بأنه حق مطلق، لا شبهة لباطل في شيء منه بحال.

والذي جرّ خلف الله إلى مصادمة النصوص القرآنية، القطعية الدلالة –بما زعمه من تخصيص وتأويل –إنما هو وهمه أن في القرآن آيات تناقض الواقع التاريخي أو الكوني.

ثالثا: خلف الله وأصحابه يضاهئون بعض المستشرقين فيما بنوه على بعض ما في كتبهم المقدسة.

لما كان ما عند غير المسلمين من النصوص المقدسة قد أصابه التحريف، فإن علماءهم قد وجدوا أن في هذه النصوص ما يخالف بعض ما أتى به العلم والمعرفة الحديثة بعامة، فحاول بعضهم، أن يعللوا لهذا الاختلاف بتعليلات متعددة، تبقي على جوهر الإيمان بها في مجموعها، مع وجود هذه المخالفة، وقد وجدوا لتعليلاتهم هذه مخرجاً –أو شبه مخرج– فيما هو متفق عليه بينهم، من أن نصوص ما يسمونه (التوراة) و(الأناجيل) قد كتبتها أيد بشرية، هي التي صاغت ألفاظها ونصوصها؛ لأن الوحي عندهم إشراف على المعنى والروح، وليس وحياً باللفظ والنص[1].

وكان من ضمن ما قالوه في تعليل هذه المخالفة، أن كتّاب الوحي لكتبهم المقدسة،عبروا عن الأفكار الموحى بها (وهي ما يسمونه المادة الدينية) في قوالب وصياغات لفظية، انبعثت عن المفاهيم والأفكار التي كانت سائدة في عصورهم عن الكون والطبيعة والتاريخ –وهذه الأخيرة هي

(1) ينظر: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر .

التي بيّن العلم الحديث عدم دقتها أو عدم صحتها– ومن ثم نراهم يقسمون (الوحي الديني) إلى قسمين:

أ – الجوهر الموحى به، وهذا صحيح خالد؛ لأنه لا يعرض لشيء إلا الأفكار الدينية الخالصة، وهي مما هو وراء الطبيعة لا يتعرض من حيث الواقع الكوني والتاريخي لشيء من التكذيب؛ لأنه لا يعرض لأمورهما.

ب – القوالب والصياغات اللفظية لهذا الجوهر الموحى به: وهي التي يعرض لها التناقض والمخالفة مع مقررات العلم الحديث؛ لأنها صدرت أصلا عن مفاهيم وأفكار عصورها. لكن التناقض والمخالفة لا تندرج على العنصر الأول المقصود أصلا (وهو الجوهر الديني الموحى به)؛لأنه هو وحده الذي يعبر عن مضمون الوحي.

فالذي يؤمن عندهم من العلماء، يؤمن بالعنصر الأول مع مخالفة العنصر الثاني لمكتشفات العلم والتاريخ الحديث؛ لأن هذا العنصر الثاني، إنما هو أثر للصياغة البشرية، وليس هو –عندهم– مما أوحى به.

ولم يكتف بعضهم بذلك –فيما يتصل بكتابه المقدس– بل حاول أن يطبق هذه الوجهة على نصوص القرآن الكريم أيضاً، بتقسيمها إلى نفس العنصرين السابقين، والزعم بأنّ فيها –كما في كتبهم المقدسة– ما يخالف حقائق التاريخ أو الواقع الكوني.

ولم تكن"نظرية" خلف الله التي نعرض لها في القصص القرآني إلا مضاهاة –إن لم تكن نقلاً– لهذه المحاولة الاستشراقية التي صدرت عن قوم، عز عليهم أن يسلموا بأنّ في كتبهم المقدسة ما يتناقض مع حقائق التاريخ والطبيعة، ثم يسام كتاب المسلمين (القرآن الكريم) من ذلك، فحاولوا أن يطبقوا عليه ما وجدوه في كتبهم بالاستناد إلى حجج واستدلالات – باطلة فيما يتصل بالقرآن الكريم– وأذاعوا ذلك بين بعض من يستمع لهم، ويأخذ عنهم من أبناء المسلمين، فكان ما كان من هذه الدعوى التي نعرض لها أصلاً في هذا المبحث !

وصدق رسول الله ρ حيث قال كما عند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟[1].

لكن هؤلاء جميعاً، قد فاتهم أن القرآن الكريم لا يقاس على ما عند اليهود والنصارى – الآن– مما يسمونه (التوراة) و (الأناجيل)؛ لأنه قد ثبت التحريف والتبديل فيما أوحي به إلى موسى وعيسى،عليهما السلام، كما قال تعالى عن بني إسرائيل ثم عن الذين قالوا إنا نصارى :**(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**

(1) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 169/4، ح3456.

أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)) المائدة: 13-14]، ومن ثم عقب الله تعالى على ذلك، بأن وجه إليهم النداء **:(يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)) [المائدة: 15 -16].**

فقياس القرآن على ما عند اليهود والنصارى –فيما يتصل بهذا الاختلاف– غير صحيح، وأيضا، فإنّ ما حاول أصحاب هذه الدعوى أن يقيموا عليه دعواهم بالنسبة للقرآن الكريم باطل بصورة مطلقة.

وبعد هذا كله، فإننا نقدم في السطور التالية الرد المفصل على ما حاول خلف الله،أن يقيم فيه تناقضات بين آيات من القرآن الكريم وحقائق التاريخ أو الكون، ليتبين لنا –إن شاء الله– أن أوهامه في هذا لا تقل عن أوهام غيره الذين يشاركونه في جوهر الدعوى.

1– **أما ما يتصل بقوله تعالى عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام :(وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا)** [آل عمران:46]، حيث يشير إلى ما رواه الرازي من أن اليهود والنصارى ينكرون أن عيسى تكلم في زمن الطفولة، ويحتجون بأن هذا لو حدث لكان من الوقائع العجيبة التي تنقل بالتواتر.

فالحق أن الرازي روى ذلك، ثم قال:"أجاب المتكلمون عن هذه الشبهة وقالوا: إن كلام عيسى عليه السلام في المهد، إنما كان للدلالة على براءة حال مريم عليها السلام، من الفاحشة، وكان الحاضرون جمعا قليلين، فالسامعون لذلك الكلام كان جمعا قليلا، ولا يبعد في مثله التواطؤ على الإخفاء"[1].

وإذن فإن الرازي لم يترك هذه الشبهة دون رد، وبالتالي لم يكن من الذين يقولون بها على سبيل الإيمان أو الاقتناع.

أما فيما يتصل بالتواريخ البشرية، فمما لا شك فيه أنها أهملت تسجيل كثير من الأحداث الفردية – مهما تكن أهميتها في ذاتها – حيث لم يتوافر لها من الشهادة الصادقة وتوفر سبل الإذاعة، والنقل، والبقاء على مرّ العصور ما يكفل لها ذلك.

وقد تلعب يد التحريف والتجهيل والتعمية ببعض جوانب واقعة صحيحة في أصلها، فإذا بها قد جمعت في نهاية الأمر بين الحق والباطل في قصة واحدة.

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي، 8/55–56.

هذا معروف مسجل عن (أوهام التواريخ وأخطائها)، فهي تهمل وتنسى وتحرف، وتخدع وتتوهم، وكل هذا يتضمنه ما يسمى بـ (التاريخ البشري)، بخاصة في عصور ما قبل التدوين المنظم، ذي الأساليب والإمكانات المنضبطة شيئا ما.

وإذ كان هذا ثابتا لا شك فيه، فهل يقبل منطق البحث العلمي النزيه، أن يتخذ إغفال التواريخ القديمة لحادثة فردية مثل كلام طفل في المهد دليلا قاطعا على كذب الوحي في إخباره بها؟

أما عدم وجود ذكر لهذه الواقعة فيما عند اليهود والنصارى من كتب مقدسة، فلا يقوم هو الآخر دليلا يطعن في صحة ما جاء به القرآن من ذلك؛ لأن فيما في هذه الكتب المقدسة عندهم ما ثبت قطعا أنه مخالف للحق، ونضيف إليه أن المعقول المتفق مع طبائع الأمور، ألا يرد في التوراة المحرفة عند اليهود شيء عن واقعة كلام عيسى عليه السلام في المهد.

أما ما عند النصارى من الأناجيل، فمن الثابت أنها لم تدون وقت ما سجلته من أحداث، بل بعد ذلك، وأيضا فمن المعلوم أن الأناجيل الأربعة التي أقرتها الكنيسة، قد تضمنت أمورا وعقائد، كذبهم فيها القرآن الكريم، وعليها تقوم الديانة النصرانية – بعد ما بدل دين المسيح الحقيقي – مثل تجسد الإله، وتثليث الآلهة، وصلب المسيح عليه السلام فداء للبشر.. وإذ كان الأمر كذلك، فما المانع عقلا أو عادة من أن تكون الأناجيل النصرانية المعتمدة، قد تناولت الوقائع المتصلة بالمسيح عليه السلام بالزيادة والحذف والتبديل والتحريف؟ بل إن هذا هو الذي حدث فعلا.

2- **وأما ما يتصل بقوله تعالى:(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ)** [غافر: 36]، فخلف الله يشير إلى ما رواه الرازي من قول اليهود: أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون أن هامان ما كان موجودا البتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمن مديد.

والحق أن الرازي نقل هذه الشبهة ثم قال:"والجواب: أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها، واضطربت الأحوال والأدوار، فلم يبق على كلام أهل التاريخ اعتماد في هذا الباب، فكان الأخذ بقول الله أولى".ويقول الرازي:" وقد كان المعترض قال: إن هذا كما لو قال أحد: إن أبا حنيفة كان موجودا في زمان النبي ρ، ويرد الرازي بقوله:"بخلاف حال رسولنا مع أبي حنيفة، فإنّ هذه التواريخ قريبة غير مضطربة، هي مضبوطة، فظهر الفرق بين البابين"[1].

ونضيف إلى ذلك أنه قد ورد ذكر (هامان) في القرآن الكريم ست مرات، منها ثلاث في سورة القصص(الآيات 6، 8، 38)، وواحدة في سورة العنكبوت (الآية 39)، واثنتان في سورة غافر (الآيتان 24، 36]، وكلها تدل على أنه كان من معاوني فرعون، الذي بعث موسى عليه السلام في عصره،:**(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى**

(1) مفاتيح الغيب، للرازي 66/27.

الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص:38] فماذا في ذلك كله يمكن أن يتخذ دليلا على مخالفة القرآن للتاريخ

إن طعن اليهود ومن وافقهم، لا يقوم في شيء كدليل أو ما يشبه الدليل؛ لأن بحوثا متعددة قد أثبتت أن فيما عندهم تخليطا وأخطاء، فإذا تحاكمنا إلى التاريخ العام، فإننا نعرف أن (فرعون موسى) – من بين فراعنة مصر – ليس معروفا للمؤرخين بصورة قطعية متفق عليها[1].

والقرآن الكريم لم يذكر اسمه، والأقوال في تحديده عند المؤرخين متعددة، تعتمد على بعض الشواهد من النصوص والآثار، لا على علم يقيني قاطع حاسم، لا محل معه لخلاف أو اجتهاد. وإذا كان الأمر كذلك، فإن تحديد وزرائه ومعاونيه بالاستقصاء والحصر، أمر لا يمكن أن يدعيه – على سبيل القطع – مؤرخ يحترم عقله وعقول الناس، وفي مثل هذه الظروف: هل يستطيع إنسان ما أن يكذب الوحي القرآني اعتمادا على أقوال ومزاعم متناثرة، ليس لها أي مستند يقيني، فيزعم أنه خالف التاريخ في هذا؟

3- **أما فيما يتصل بما ذكره خلف الله من أن قوله تعالى:(يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا)** [مريم: 28]، يهيئ للمستشرقين والمبشرين الطاعنين – إذا قسناه بمقياس الصدق التاريخي – أن يطعنوا في موافقة هذا للحقيقة التاريخية[2] – فليس فيما ذكرته آيات القرآن الكريم مما يتصل بذلك أدنى مخالفة لأية حقيقة.

وقد بيّن المفسرون الإسلاميون المحققون ذلك في صورة جلية، لا تحتمل أدنى لبس، وفي مقدمة هؤلاء: الفخر الرازي، الذي أكثر خلف الله من الرجوع إليه.

إذ أن هذه الفرية تؤدي إلى القول بأن موسى كان خالا لعيسى عليهما السلام، وأنه لم يفرق بين رسالتيهما إلا سنوات قليلة بحكم هذه الصلة المباشرة، لكن الذي يستعرض آيات القرآن الكريم يأخذ منها بغاية من الوضوح، أنه كان بينهما مئات السنين، وعدد من أنبياء بني إسرائيل، كما جاء في قوله تعالى:**(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾** [البقرة/ 87] وقوله تعالى :**(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى**

---

(1) راجع مثلا: قصة الحضارة لول ديورانت 324/1.

(2) راجع تفصيل قول خلف الله وما استشهد به في هذه القضية فيما سبق من عرض (نظريته).

وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)). [المائدة: 44-47].

وقوله تعالى:**(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ)** [الحديد: 26-27]، وليس في القرآن الكريم كله، ولا في سنة النبي ρ، ولا في شيء من معتقدات المسلمين، أن موسى كان خالا مباشرا لعيسى عليهما السلام، أو أن بينهما أقل من مئات السنين، وهذا في ذاته يكفي لإبطال هذا الطعن.

أما ما استند عليه أصحابه من مناداة مريم في القرآن الكريم بيا (أخت هارون) فليس فيه عند التحقيق ما يبرر هذا الطعن، وقد تناوله المفسرون بالشرح فقالوا: إن هذا النداء محمول على واحد من أربعة وجوه كلها مقبول معقول[1]:

الأول: أن هارون هذا كان رجلا صالحا من بني اسرائيل، ينسب إليه كل من عرف بالصلاح، والمراد: أنك كنت في الزهد والتقوى كهارون – فكيف صرت هكذا؟

والثاني: أن هارون هذا هو أخو موسى عليه السلام، لما روى عن النبي ρ: إنما عنوا هارون النبي، وكانت من أعقابه. وإنما قيل: أخت هارون، كما يقال: يا أخا همدان، أي: يا واحدا منهم.

والثالث: أنه كان رجلا معلنا بالفسق فشبهت به.

والرابع: كان لها أخ يسمى هارون من صلحاء بني إسرائيل والكلام على حقيقته.

والرازي يختار القول الرابع[2]، ويبدو أنه لم تصح عنده رواية حديث النبي ρ في ذلك.

لكننا لا نختار القول الرابع، بل نرى أن النداء في (يا أخت هارون) قد جرى مجرى التعبير في آيات عديدة في القرآن الكريم بلفظ الأخوة، دون أن يكون المراد هو أخوة النسب الحقيقية،

---

(1) قال ابن حجر في (الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، للزمخشري) في قول الزمخشري: إنما عنوا هارون النَّبي ما نصه: لم أجده هكذا إلا عند الثعلبي بغير سند، ورواه الطبري عن السدي قوله وليس بصحيح. فإن عند مسلم والنسائي والترمذي عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني النَّبي ρ إلى نجران فقالوا لي: أرأيتم شيئًا تقرؤون **(يا أخت هارون)** وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين، فلم أدر ما أجيبهم؟ فقال لي النَّبيρ: هلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين من قبلهم. وروى الطبري من طريق ابن سرين: نبئت أن كعبًا قال: إن قوله تعالى **(يا أخت هَارُونَ)** ليس بهارون أخي موسى، فقالت عائشة: كذبت؟ فقال لها: يا أم المؤمنين، إن كان النَّبي ρ قال فهو أعلم، وإلا فأنا أجد بينهم ستمائة سنة– انتهى كلام ابن حجر. ينظر: تفسير ابن كثير 200/5، كشف المشكل لابن الجوزي 92/4، أضواء البيان 415/3، زاد المعاد 563/3، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية 68/6، صحيح مسلم، كتاب الآداب ، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، 171/6،ح2135.

(2) ينظر: تفسيره 207/21–208.

خاصة، بل المراد هو الانتساب في الجملة إلى قوم أو جماعة ما، كما ورد في قوله تعالى: **(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) [الأعراف: 65]، وقوله تعالى :(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) (الأعراف: 73]، وقوله تعالى:(فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ) [البقرة: 178]، وقوله:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) [الحجرات: 10]، وقوله:(كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾** [الأعراف: 38].

فالحاصل من ذلك كله أن القرآن الكريم كثيرا ما يستخدم لفظ الأخوة، مريدا به مطلق الانتساب في الجملة بالنظر إلى أمر رابط، ويكون ذلك مفهوما من السياق بوضوح، دون أن يكون المقصود هو أخوة النسب[1] الخاصة، وقد كان هذا عند قوم مريم، مما نجد مثيلا له عند العرب في قولهم: يا أخا العرب، يا أخا قريش، يا أخا هذيل، يا أخا همدان.. فما العجيب إذن في أن يجري النداء في (يا أخت هارون) على هذا النحو المألوف؟ وكيف يجر إلى هذه الأباطيل التي يرددها المبشرون وأشياعهم؟

وإذا كان هذا قد غاب عن المستشرقين الذي يجهلون أساليب البيان العربية – أو الذين يلتحقون بسوء المقصد دائما – فكيف غاب عن مسلم، يزعم أنه من مدرسة التفسير البياني القرآنية، ويطيل الحديث عن الأساليب البلاغية في القرآن الكريم؟!

4- **أما ما يذكره خلف الله حول قوله تعالى:(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾**[الكهف: 86]، من قوله:"بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة لا تستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون"؛ فما هو **(العقل الإسلامي)** الذي يتكلم عنه خلف الله؟

أغلب الظن أنه هو **(العقل الإسلامي)** الذي تحدث عنه الدكتور طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حين قال: إن الكاتب الفرنسي"بول فاليري" أراد يوما أن يشخص العقل الأوربي، فرده إلى عناصر ثلاثة: حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه، والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان، فلو أردنا أن نحلل العقل الإسلامي في مصر وفي الشرق القريب، أفتراه ينحل إلى شيء آخر غير هذه العناصر التي انتهي إليها تحليل بول فاليري؟

وبعد أن يفصل القول في ذلك ينتهي إلى قوله:"وإذن فمهما نبحث ومهما نستقصى، فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل الأوربي والعقل المصري فرقا جوهريا"[2].

---

(1) التي أتت فيها آيات أخرى مثل آيات سورة النساء (12، 23، 176) في الميراث والنكاح. والسياق يحدد في غاية من الوضوح معنى (الأخوة) المقصود في كل آية.

(2) مستقبل الثقافة في مصر، لطه حسين ص29-30.

لكن هذا (**العقل الإسلامي**) الذي يتحدث الرجلان عنه ليس هو – على سبيل القطع – ما نعرفه ونعايشه من عقل إسلامي مرتكز على ما جاء به (القرآن الكريم) و (السنة الصحيحة) ولم يثبت له إطلاقا أن في شيء منهما ما يخالف حقائق الكون أو التاريخ.

وفيما يتصل بالآية التي ذكرها خلف الله، فإن التعبير القرآني بالغ الدقة والصدق في تصوير ما يعبر عنه، بحيث لو تغير هذا التعبير – فرضا – لما كان مطابقا لحقيقة ما يعبر عنه.

وواضح غاية الوضوح من النص القرآني، أنه يعبر هنا عما وجده وظهر لذي القرنين – المحدود المعرفة بنطاق البشرية عندئذ – ألا نراه يقول:(**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾[الكهف: ٨٦] أي وجد عند هذه العين الحمئة، التي ظهرت له الشمس غاربة فيها – قوما، حيث يعود الضمير في (عندها) إلى أقرب مذكور وهو العين الحمئة.

فالتعبير القرآني المحكم المعجز يقول (وجدها تغرب)، ولم يقل إنها تغرب، حتى يكون هذا تعبيرا عن الحقيقة الكونية المطلقة. ومما يقطع – فيما أرى – بإعجاز القرآن الكريم وصدقه المطلق، أن الله تعالى عقب على ما (وجده) ذو القرنين في جهة مغرب الشمس ومطلعها بقوله تعالى: (**كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**) [الكهف: ٩١] أي – والله تعالى أعلم – كذلك ظهرت له الأمور حسب علمه البشري القاصر، الذي لا إحاطة فيه بحقائق الأمور وكنهها في ذاتها، وقد أحطنا نحن علما بكل ما وجده ذو القرنين وظهر له؛ لأن علمنا هو العلم الشامل المحيط بكل شيء بإطلاق.

أما محاولة خلف الله أن يخلط بين (ما حكاه القرآن عن أقوال البشر وتصوراتهم في مواقف معينة) و (ما هو من تقرير الله تعالى لحقائق مطلقة)، فيقول إن (كل) ما ورد في القرآن من قصص – محمول على النوع الأول وحده – فهو ما ترفضه النصوص القرآنية في غاية من الوضوح.

ونضيف إليه أيضا، أن من يراجع صيغة (وجد) في القرآن الكريم، حين تنسب إلى البشر فسيدرك ما قررناه في جلاء، ولن نذهب بعيدا، بل إننا لن نجاوز سورة الكهف نفسها مثار اعتراض خلف الله على النص السابق.. فانظر إلى قوله تعالى فيها عن أحد الرجلين صاحب الجنتين الذي دخل جنته وهو ظالم لنفسه قال:(**قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36)**) [الكهف: 35-36]، فهل قوله (لأجدن) حكاية عن الحقيقة المطلقة، أم تعبير عن أفكاره وأمانيه الباطلة هو؟.

وانظر أيضا إلى قوله تعالى في نفس السورة، حكاية عن قول موسى حينما لقي الخضر (عليهما السلام) فقال له الخضر: إنك لن تستطيع معي صبرا، فقال موسى مصورا لما يعتقده في حال

صحبته مع الخضر:(**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾[الكهف: 69]، فهل هذا القول تعبير عن عقيدة موسى، فيما يكون من أمر مستقبل الصحبة- ولا يعلم الغيب المستقبل إلا الله- أم هو تعبير عن حقيقة المستقبل المطلقة، كما ظهرت بعد ذلك من تطور أمر الصحبة؟ إنّ الجواب الواضح في الآيات التالية لقول موسى عليه السلام (ستجدني).

.. هذا هو الشأن إذن بقوله تعالى حكاية عما وجده ذو القرنين عند مغرب الشمس ومطلعها، فأين عدم الاستقامة المزعومة من خلف الله في ذلك كله[1].

5- ومثل هذا تماما ما يذكره خلف الله من أنه"بان العقل الإسلامي أنه لا يستطيع أن يتصور مساعدة الملائكة للمسلمين في غزوتي بدر وأحد. اللهم إلا أن يكون حديث القرآن عن ذلك حديث من يأخذ الناس بعقائدهم، تقوية للروح المعنوية وبثا للأمل القوي بالانتصار السريع في النفوس[2].

و(العقل الإسلامي) حقا لم يبن له شيء من ذلك إطلاقا؛ لأنه يؤمن بالله وكلماته على أنها الحق الذي لا باطل فيه، وقد قرئت هذه الآيات، التي يشير إليها خلف الله على جمع المؤمنين الذين شهدوا الغزوتين، فما زادتهم إلا إيمانا ويقينا في صدق ما أخبر به ربهم، وصدق الله تعالى:(**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**)[الإسراء: 82].

فتثبيت الملائكة – بإذن الله – للمسلمين ثابت بالنص البين في القرآن الكريم في قوله تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**) [الأنفال: 12]، وقوله تعالى:(**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**) [آل عمران: 124-126].

ولست أدري ما هو المستند العقلي أو العلمي في تكذيب خبر متصل بالملائكة، وهم في تفصيلات أمورهم من عالم الغيب؟ وهل يعجز العقل الإسلامي المصدق بالوحي حقا عن تصور تثبيت الملائكة للمسلمين، أو تصديق ذلك؟

---

(1) مفاتيح الغيب، للرازي،21/166-167، ويرفض الرازي في تعليل علمي سليم ما يقال من أن ما رآه ذو القرنين كان هو الحقيقة الكونية، معللا رفضه باختلاف موضع الشمس بحسب المواضع على الأرض، وكما يفسر بقية الآيات في وضوح وإحكام عام (ص168) وإذن فإن ما يذكره خلف الله عن حيرة (العقل الإسلامي) في ذلك لا يتفق مع ما عند المفسرين المحققين.

(2) الفن القصصي، لخلف الله، ص37.

اعتقد أن (العقل المادي) هو الذي يعجزه التصديق بغير المحسوس الملموس، أما العقل (الإسلامي) المصدق بكل ما أخبر الله به من غيب؛ لأنه يؤمن بصدق القرآن الكريم في جملته وتفصيله – فإنه يؤمن بالملائكة والجن والبعث وسائر الغيبيات؛ لأنه – كما وصفه ربه تعالى – (يؤمن بالغيب).

إن القصص القرآني كلام الله عز وجل، بالحق نزل، وليس في شيء منه إلا الحق المطلق، وافق ما عند الناس من أهل الكتاب أو العرب، أو خالفهم؛ لأنه لا يقاس صدق شيء منه على ما عندهم أو عند غيرهم من علم بشري قاصر، يدخله الخطأ والوهم، حسبما سبق.

المبحث السادس: ما يستفاد من دراسة القصص القرآني :

إن للقصص القرآني منهجا تربويا متكاملا ومتناسقا مع منهج القرآن ؛ ذلك أن القرآن بقصصه ومواعظه وتوجيهاته وحدة متناسقة.

كما أن القرآن يستخدم قصصه لجميع أنواع التربية والتوجيه التي يشملها منهجه التربوي ، مثل: تربية الروح والعقل والجسد، والتربية بالقدوة ،وبالموعظة،كما أن القصص القرآني يربي الإنسان ،تربية خلقية واجتماعية وجمالية .

ولقد جاء القرآن بقصص تربوية ذات أثر في علاقات الإنسان الخلقية والوجدانية ؛ ذلك مع جمال الأسلوب وبلاغة المعنى .

والقصة القرآنية وسيلة مهمة للتعلم والإرشاد والتشريع ،ولها دور فاعل في بناء الفرد والمجتمع.

ومن خلال القصص القرآني يمكن تثبيت الأخلاق ، وذلك بغرس القيم وإرساء دعائم الإسلام .

والدارس للقصص القرآني يدرك الدور الفاعل الذي وظفته القصة في تربية العقيدة وتثبيتها ؛إذ ليس الغاية من التربية سوى العواطف الصالحة ،ولا تصبح العواطف أساسا للخلق الكريم، إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة ،وهكذا تتعمق العقيدة والأخلاق والقيم الإسلامية في النفوس ،في الوقت الذي تتطهر فيه النفوس من المعتقدات والأخلاق والقيم الجاهلية الفاسدة ،وذلك من خلال القصص القرآني .

وإذا كان الهدف الأسمى من التربية الإسلامية هو تكوين الإنسان المتكامل الشخصية ، فإن القصص القرآني يهدف إلى إثبات وحدة الإله ،ووحدة وسائل الدعوة وطرقها ووحدة أساليب التربية والتعلم ،ووحدة المصير .

أسئلة للمناقشة:

- ما معنى القصص؟
- ما أنواع القصص في القرآن الكريم؟
- وضح أهداف قصص الأنبياء.
- بيّن فوائد القصص القرآني.
- ما الحكمة من تكرار القصص في القرآن؟
- هل القصة القرآنية حقيقة أم خيال.. ؟

الفصل التاسع: المثل في القرآن الكريم[1].

في عرضنا لمثل القرآن، وقسمه، وجدله، سنحرص على الإيجاز في هذا التناول بالقدر الذي يسمح بإعطاء ملامح الصورة العامة لكل منها[2].

المثل:

ورد في كتاب الله العزيز – في أكثر من آية – أنه سبحانه وتعالى يضرب الأمثال، في مثل قوله تعالى:(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [الحشر: 21] وقوله تعالى:(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت: 43] ، وقوله:(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) [الزمر: 27].

قال الماوردي: من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه؛ لاشتغالهم بالأمثال وإغفالهم الممثلات، والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام.

وقد عده الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته، المثبتة لاجتناب معصيته(3).

وقال الشيخ عز الدين: إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرًا ووعظًا، فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فإنه يدل على الأحكام(4).

وكما عنى العلماء بأمثال القرآن، فإنهم عنوا كذلك بالأمثال النبوية. وعقد لها أبو عيسى الترمذي بابا في جامعه، أورد فيه ستة عشر حديثا(5).

المبحث الأول: تعريف المثل:

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمثيل، كالشبه والشبيه لفظا ومعنى، وسمى"المثل"؛ لأنه ماثل بخاطر الإنسان، أي: شاخص يتأسى به ويتعظ، ويخشى ويرجى(1).

---

(1) لقد تناول الأمثال، وكتب فيها جهابذة الأدباء والحكماء والبلاغيين والمفسرين، مثل: الأصمعي وأبي عبيد، القاسم بن سلام، والمفضل الضبي، والزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، والزرقاني في مناهل العرفان، .

(2) ينظر دراسات في علوم القرآن: د. عبد الخالق محمود، ص75–115، الإتقان، للسيوطي، 167/2.

(3) الإتقان، للسيوطي، 131/2.

(4) المصدر السابق. وتنظر الآيات 17–20، من سورة البقرة.

(5) سنن الترمذي، أبواب عن رسول الله ρ، 539/4، وينظر: الإتقان، للسيوطي،، 131/2. وقال القاضي أبو بكر بن العربي –رحمه الله تبارك وتعالى– مشيدًا بفعل الترمذي هذا، فقال: "لم أرَ من أهل الحديث من صنَّفَ فأفردَ للأمثال بابًا غير أبي عيسى، ولله دَرُّه، لقد فتح بابًا، وبنى قصرًا أو دارًا، ولكنه اختطَّ خطًّا صغيرًا فنحن نقنع به، ونشكره عليه".

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات، كقوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) [محمد: 15](2)، أي: قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال:"والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضروبه بمورده، ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه – ثم قال: وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة3.

وهناك معنى رابع، ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل، فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة، متى فشي استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية. كقولك للمتردد في فعل أمر:"ما لي أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"(4).

وقيل في ضابط المثل كذلك: إنه إبراز المعنى في صورة حسية تكسيه روعة وجمالا، والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له موردا، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا.

وإذا نظرنا إلى أمثال القرآن التي يذكرها المؤلفون، وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر، سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة أم بطريق التشبيه الصريح، أو الآيات الدالة على معنى رائع بإيجاز، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه، فإنّ الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل.

فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا في الأمثال؛ إذ ليست أمثال القرآن أقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة، وما لم يفش استعماله.

ولذا كان الضابط الأخير أليق بتعريف المثل في القرآن. **فهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء كانت تشبيها أو قولا مرسلا[1].**

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 167/2، 168، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان ص138، وينظر: الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، ص27.

(2) ينظر: جامع البيان للطبري،84/14.

3– ينظر: الكشاف، للزمخشري، 149/1.

(4) ينظر: نقد النثر لقدامة بن جعفر، 73، أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ص82.

المبحث الثاني: أنواع الأمثال في القرآن:

فرّق الباحثون بين الأمثال القرآنية، وفقا لظهور المثل وكمونه، وطوله وقصره، وقيامه على التشبيه والتمثيل، وعدم قيامه عليهما، إلى غير ذلك من الاعتبارات.

الأمثال في القرآن ثلاثة أنواع:

الأول: مثل ظاهر، مصرح به.

الثاني: مثل كامن[2].

الثالث: الأمثال المرسلة (جارية مجرى المثل).

المطلب الأول: النوع الأول: الأمثال المصرحة:

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، وهي كثيرة في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى في حق المنافقين:(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[البقرة:17-20] [3].

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين: مثلا بالنار في قوله"كمثل الذي استوقد نارا..." لما في النار من مادة النور، ومثلا بالمطر في قوله: (أو كصيب من السماء) لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها. وذكر الله حظ المنافقين في الحالين، فهم بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والنفع؛ حيث انتفعوا ماديا بالدخول في الإسلام،

---

(1) وكان الشيخ محمود شلتوت، يرى أن الأمثال المضروبة في القرآن الكريم لمجرد التمثيل المطلق، يجوز للمؤمن أن يعتقد أنها تقريب من الله وتمثيل، لكنه كان يرى أن القصص القرآني من صميم الواقع لا شك في ذلك، وقد نقد رأيه في الأمثال القرآنية نقدا شديدا.

والذي نؤمن به أن المثقف الراقي المتدين ينبغي أن يؤمن في غاية من اليقين، أن كل ما ورد في (القرآن الكريم) بإطلاق، حق لا مرية فيه ولا شك ولا تأويل؛ لأنه ببساطة – ليس إلا كلمات الله تعالى، العالم بكل شيء، القادر على كل شيء فأمثاله كلها حق؛ لأن كل مثال ضرب منها لابد أن يكون قد حدث؛ لأنه يروى أمرا لا استحالة في حدوثه عقلا أو عادة أو تاريخا، فما مبرر القول إذن بالتقريب والتمثيل، والكلمات لله تعالى!. ينظر: مدخل للدراسات الإسلامية د. محمد بلتاجي ص295-296، رسالة الإسلام التي تصدرها دار التقريب بالقاهرة، العدد الثالث، من السنة السابعة ص233.

(2) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي،486/1،الإتقان، للسيوطي، 132/2،جواهر الأدب للهاشمي،288/1.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، والإتقان، للسيوطي، الموضع السابق.

ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله بما في النار من الإضاءة"ذهب الله بنورهم" وأبقى ما فيها من الإحراق.

وذكر مثلهم المائي، فشبههم بحال من أصابهم مطر، فيه ظلمة ورعد وبرق، فخارت قواه ووضع أصبعيه في أذنيه وأغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه؛ لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق.

قال ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم:"هذا مثل ضربه الله للمنافقين، كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفئ، فلما ماتوا، سلبهم الله العز، كما سلب صاحب النار ضوءه"**وتركهم في ظلمات**"، يقول: في عذاب، **أو كصيب**، هو المطر، ضرب مثله في القرآن" **فيه ظلمات**" يقول ابتلاء" **ورعد وبرق**" تخويفا" **يكاد البرق يخطف أبصارهم**" يقول: يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين"**كلما أضاء لهم مشوا فيه**" يقول: كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزا واطمأنوا، فإن أصاب الإسلام نكبة، قاموا فأبوا ليرجعوا إلى الكفر كقوله﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾ [الحج: 11] [(1)].

وذكر الله المثلين المائي والناري – في سورة الرعد للحق والباطل، فقال تعالى: **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)** [الرعد: 17] [(2)].

شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء، الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جري في الأودية، احتمل زبدا وغثاء. فكذلك الهدى والعلم، إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات، ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله:"**أنزل من السماء ماء...**" وهكذا يضرب الله الحق والباطل. وذكر المثل الناري في قوله:"**ومما يوقدون عليه في النار...**" فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد، عند سكبها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر، الذي ينتفع به فيذهب جفاء. فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد وهذا الخبث.

قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله، احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكلها، فأما الزبد فيذهب جفاء – وهو الشك – وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض – وهو اليقين، كما يجعل الحلى في النار، فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك. وقال عطاء: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر.

---

(1) ينظر: فتح القدير، للشوكاني 5/1.

(2) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم 118/1.

وعن قتادة: هذه ثلاثة أمثال، ضربها الله في مثل واحد، يقول: كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله، وكما مكث هذا الماء في الأرض، فأمرعت وربت بركته وأخرجت نباتها. وكذلك الذهب والفضة حين أدخل في النار، فأذهب خبثه، كذلك يبقى الحق لأهله، وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين أدخل في النار، كذلك يضمحل الباطل عن أهله[1].

المطلب الثاني: النوع الثاني: الأمثال الكامنة:

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها:

1-ما في معنى قولهم:"خير الأمور أوساطها".

أ. قوله تعالى في البقرة :(**لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**) [البقرة: 68].

ب. قوله تعالى في النفقة :(وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)[الفرقان: 67].

ت. قوله تعالى في الصلاة :(وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) [الإسراء: 110].

ث. قوله تعالى في الإنفاق:(وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)[الإسراء: 29].

2- ما في معنى قولهم:"ليس الخبر كالمعاينة".

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام:(قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: 260].

3-ما في معنى قولهم:"كما تدين تدان"

قوله تعالى:(مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) [سورة النساء: 123].

4-ما في معنى قولهم:"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

قوله تعالى على لسان يعقوب:(قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ) [يوسف: 64] [2].

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 168/2.

(2) ما ذكر من الأمثلة الكامنة ذكرها الزركشي في البرهان 486/1، وهناك كتاب في الأمثلة الكامنة غير مطبوع، ألفه الحسن بن الفضل " الأمثلة القرآنية الكامنة" أشار إليه د. محمد جابر فياض،ص204، وجزم باستفادة الزركشي منه في الأمثلة الكامنة، وينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص16.

وقد ذكر السيوطي في الإتقان عن الماوردي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسن بن الفضل فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله:... وذكر مجموعة من الأمثلة وما يقابلها من آيات قرآنية ومنها: من جهل شيئا عاداه، احذر شر من أحسنت إليه، في الحركات البركات، لا تلد الحية إلا حييه، للحيطان آذان، وغير ذلك من الأمثلة[1].

المطلب الثالث: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم[2].

وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، فهي آيات جارية مجرى الأمثال.

وسميت"المثل السائر". ومعنى السائر: أنه كثر استعماله، ويقال أيضا:"تشبيه سائر"[3]. ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾[يوسف: 51]،:(□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□﴾ [النجم: 58]،(□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□﴾ [يوسف: 41]،﴿ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾[هود: 81]،(□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾[الأنعام: 67]،(□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□ ﴾[فاطر: 43]، (□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□﴾[الروم: 41]،:(□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□﴾)[البقرة: 286]، ﴿﴿ □□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□﴾[المدثر: 14]، (□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□﴾ [المائدة: 99]،(□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□﴾[الرحمن: 60]، إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة جدا في سور القرآن الكريم.

---

(1) الإتقان، للسيوطي، 168/2، 169، البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 490/1-495.

(2) ذكر الثعالبي في التمثيل والمحاضرة، ص18-19، اثنى عشر لفظا من القرآن، رأى أنها جارية مجرى المثل السائر.

(3) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب في البيان ص135، نهاية الإيجاز، للرازي ص230، وقد أفرد ابن رشيق بابا مستقلا للحديث عن المثل السائر مفصولا عن التشبيه والتمثيل. العمدة، لابن رشيق280/1-286.

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل، ما حكم استعماله استعمال الأمثال؟

فرآه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن، قال الرازي في تفسير قوله تعالى:" لكم دينكم ولي دين" جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة، وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به، بل ليتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه.

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجد، كأن يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول:" ليس لها من دون الله كاشفة"، أو يحاوره صاحب مذهب فاسد، يحاول استهواءه إلى باطله فيقول:" لكم دينكم ولي دين"، والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة، فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح"[1].

المبحث الثالث: ما يتمثل به من قصص الأنبياء.

يضرب المثل بسفينة نوح، ونار إبراهيم، وذئب يوسف، وحوت يونس، وعصا موسى، وخاتم سليمان، وناقة صالح، وحمار عزير.

قيل للحسن بن يسار البصري رحمه الله: أيكذب المؤمن للمؤمن؟ فقال: أنسيتم إخوة يوسف؟ وكان يقال: لا يغرنكم البكاء، فإن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

ومن قصة موسى قولهم: الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين. يريدون قوله عز:(**فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ)** [الشعراء:21].

ويقال: بيت فلان أفرغ من فؤاد أم موسى.

ويقول من ينبه على براءة ساحته: إني لم أعقر ناقة صالح.

ويقال: فقر كفقر الأنبياء؛ لأن فقراءهم أكثر من أغنيائهم.

ويقال: فلان خليفة الخضر، إذا كان يديم السفر ويكثر المسير[2].

---

(1) ينظر: البرهان للزركشي 486/1، الاتقان للسيوطي،132/2، جواهر الأدب للهاشمي،288/1.

(2) ينظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي 19-21، وقد اعتبرها البعض من الأمثال المستوحاة من قصص القرآن وآياته ينظر: الأمثال في القرآن الكريم وأثرها، ص171، محمود بن شريف .

المبحث الرابع : أغراض الأمثال:[1].

1- الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية، قريبة الفهم، كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء، حيث لا يحصل من إنفاقه على شيء من الثواب، فقال تعالى:(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [البقرة: 264].

2- وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، كقوله تعالى:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة: 275].

3- وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة؛ كالأمثال الكامنة والأمثال المرسلة في الآيات السابقة الذكر.

4- ويضرب المثل للترغيب في الممثل؛ حيث يكون الممثل به مما ترغب فيه النفوس، كقوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[البقرة:261].

5- ويضرب المثل للتنفير؛ حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، كقوله تعالى في النهي عن الغيبة:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: 12].

6- ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة:(ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) [الفتح: 29]. وكذلك حال الصحابة، فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابا بعظمتهم.

7- ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس: كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله كتابه، فتنكب الطريق عن العمل به وانحدر في الدنيا منغمسا. قال تعالى:(**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا**) [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦].

8- والأمثال أوقع في النفس، وأبلغ في الوعظ، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم للتذكرة والعبرة، قال تعالى:(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي

(1) ينظر: الإتقان للسيوطي، 131/2، البرهان في علوم القرآن للزركشي،،486/1-487.

هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)[الزمر: 27]. قال تعالى:(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت: 43]. وضربها النبي ρ في حديثه(1).

ويكره العلماء ضرب الأمثال بالقرآن، ففي كتاب"فضائل القرآن لأبي عبيد النخعي" قال: كانوا يكرهون أن يتلو الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا. قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم بحاجته، فيأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح :(ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى) [سورة طه: آية 40](2)، فهذا من الاستخفاف بالقرآن، ومنه قول ابن شهاب الزهري: لا تناظر بكتاب الله ولا بسنة رسوله ρ. قال أبو عبيد: يقول: لا تجعل لها نظيرا من القول ولا من الفعل.

المبحث الخامس : الدور التربوي للأمثال:

تلعب الأمثال دورًا مهما في العملية التربوية، فهي من أحد الأساليب المهمة فيها ، بما تمتلكه من قدرة مؤثرة في النفوس البشرية، فهي تكشف الحقائق وتوضح المعاني وتصورها في قوالب فنية محسوسة، كما تؤثر في سلوك الفرد وتفكيره، وتوجه الانفعالات والعواطف، وتغرس في النفوس المبادئ والأخلاق السامية، وتحرك نوازع الخير لدى الإنسان، وتربيه عقليًا، وأخلاقيًا، وسلوكيًا، واجتماعيًا؛ فهي أبلغ في الوعظ، وأوقع في النفس، وتسهم في الوصول إلى النتائج المطلوبة عن طريق تغيير السلوك وتوجيهه الوجهة الصحيحة.

وضرب الأمثال طريقة تربوية ناجعة تؤثر تأثيرًا عميقًا في العملية الإصلاحية.

وقد نبه كثير من العلماء إلى أهمية الأمثال، وفيما يلي بيان من أقوالهم:

يقول العلامة أبو السعود:" التمثيلَ ألطفُ ذريعةٍ إلى تسخير الوهم للعقل واستنزالِه من مقام الاستعصاء عليه، وأقوى وسيلةٍ إلى تفهيم الجاهل الغبي، وقمع ثورة الجامح الآبي، كيف لا! وهو رفعُ الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبرازٌ لها في معرض المحسوسات الجلية، وإبداءٌ للمنكر في صورة المعروف، وإظهارٌ للوحشي في هيئة المألوف"[3].

---

(1) من ذلك قوله ρ: "الأعمال بالنيات" "إن من الشعر لحكمة" "لا ضرر ولا ضرار" "أنزلوا الناس منازلهم" "مطل الغني ظلم" "من غشنا فليس منا" " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس" "كل ميسر لما خلق له" "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" "الأعمال بخواتيمها" "المرء على دين خليله" "دع ما يريبك إلى مالا يريبك" "المجالس بالأمانة" إلى غير ذلك.

(2) ينظر: البرهان، للزركشي، 486/1، الإتقان، للسيوطي، 45/4.

(3) تفسير أبي السعود، 50/1.

ويقول العلامة الزمخشري: "التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيمًا، كان المتمثل به مثله، وإن كان صغيرًا كان المتمثل به كذلك"[1].

وقال العلامة الأصبهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثال والنظائر شيء ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق تريك به المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامح الأبي فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه[2].

فينبغي علينا دراسة الأمثال القرآنية والنبوية والاستفادة منها ومن نهجها وطريقتها وأسلوبها في تذليل الصعوبات التعليمية، لما لها من أهمية في القدرة على التوضيح والتأثير وعرض الحقائق بصورة واضحة ومقنعة .

أسئلة للمناقشة:

1) عرّف المثل لغة واصطلاحًا.
2) ما أنواع الأمثال في القرآن؟
3) استخرج من القرآن الكريم معنى الأمثال الآتية:
   - ليس الخبر كالمعاينة"
   - كما تدين تدان"
   - خير الأمور أوساطها"
4) بيّن أغراض الأمثال الآتية:

أ. قال تعالى :(فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)[البقرة: 264].

ب. قال تعالى :(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة: 275].

5) هل يجوز ضرب الأمثال بالقرآن؟
6) حدد نوع المثل فيما يأتي:

---

(1) تفسير الزمخشري، 111/1.

(2) الإتقان، للسيوطي، 45/4.

- (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) .
- (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) .
- (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)[يونس:85]، فقد أنعم علينا ووفقنا لإكمال هذا الكتاب، فله الحمد والمنة على ذلك.

وحيث إن علوم القرآن: هي مجموعة المباحث التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه، وجمعه وكتابته، وقراءاته، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعجازه،...إلخ، فقد جعلنا عنوان هذا الكتاب (مباحث في علوم القرآن) وكان من أهم هذه المباحث التي تناولها هذا الكتاب، الآتي:

- التعريف بعلوم القرآن والمؤلفات فيه.
- التعريف بالقرآن الكريم، وأسمائه، وأوصافه، والفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والنبوي.
- الحديث عن الوحي وكيفياته، وصوره، وتنزلات القرآن والحكمة من ذلك، ونزول القرآن على سبعة أحرف وأقوال العلماء في ذلك، وحكمه، وفوائده.
- البيان للمكي والمدني، وفوائدهما، وضوابطهما، ومقاصدهما.
- بيان أسباب جمع القرآن الكريم وترتيبه، (ومراحل الجمع، وصفات كل مرحلة)، وترتيب الآيات والسور، الرسم العثماني.
- وتناولت أسباب النزول، وبيّنت عناية العلماء به، وفصّلنا القول في قاعدة عموم اللفظ وخصوص السبب، فوائد.
- وعرّفت بالمحكم والمتشابه، وبيّنت أقوال العلماء في ذلك، والحكمة من المتشابه.
- ووقفت على الناسخ والمنسوخ، تعريفًا، وبيانًا لأقسامه وأنواعه، وحكمته.
- وتناولت القصص القرآني، والمراد بها، وأنواعها، وبيّنت أن القصة القرآنية حقيقة لا خيال، نقد لمذهب هدام، ووقفت مع المثل في القرآن الكريم، وأهميته، وأقسامه.
- وتطرقت إلى القسم في القرآن الكريم، والغاية منه، وأنواعه، وتعريف الجدل، وأقسامه، وأوجهه، وطريق القرآن في الجدل.
- ووقفت على فواتح وخواتيم السور، والمناسبات، وأهميتها، وأنواعها .
- وتناولت تعريف إعجاز القرآن الكريم وبيّنا وجوه إعجازه.
- وأخيرًا وقفت على علم تفسير القرآن، وتاريخه، وتطوره، مصادره، وأهم المؤلفات فيه.

وقد حاولت . في كل ما سبق . أن أقدم المعلومة سهلة ومبسطة، كي يتمكن طلابنا الأعزاء من الاستفادة من كل ما قُدم، كما راعيت توثيق المعلومات من مصادرها الأصيلة ، لمن أراد الاستزادة، كل ذلك اشتمله منهج مبسط أكاديمي مرتب على حسب الأصول العلمية.

أضرع إلى الله عز وجل أن يحقق للمسلمين النجاح والتوفيق ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا** ﴾ [الطلاق:3] .

المصادر والمراجع

1. الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القرطبي المالكي (ت437هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
2. الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى(911هـ)، تحقيق سعيد المندوه، دار الفكر، لبنان، ط الأولى 1416هـ 1996م.
3. الأحرف السبعة للقرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت 444هـ)، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة ط: الأولى، 1408م
4. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارس (739هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى 1407هـ –1987م
5. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص(370هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت1405هـ .
6. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي (ت923هـ)، ط المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، 1323 هـ
7. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد ابن عبد الله الشوكاني اليمني (ت1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق– كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط الأولى 1419هـ – 1999م
8. أسباب النزول، لأبي الحسن على بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي لنيسابوري(468هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط الأولى 1427هـ 1996م
9. الأسماء والصفات لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1413 هـ – 1993 م
10. الإصابة في معرفة الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ت (852) هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى 1412هـ 1992م.

11. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد ابن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت1356هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثامنة – 1425 هـ – 2005 م
12. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين المستشرقين لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ت(1396)هـ، ط دار العلم للملايين، ط، الخامسة عشر 2002 م
13. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، لعياض بن موسى ابن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، (ت544هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط الأولى، 1379هـ – 1970م
14. الانتصار للقرآن للأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم" المعروف بالباقلاني، ط دار الفتح– عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت، ط الأولى1422 هـ – 2001 م، تحقيق د. محمد عصام القضاة.
15. أنوار التنزيل وأسرار التأويل لإمام المحققين ناصر الدين أبى سعيد عبدالله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (791هـ)، دار الفكر، بيروت
16. أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، لقاسم بن عبد الله ابن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت 978هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية 2004م–1424هـ
17. البحر المحيط لأبى حيان – أثير الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن على ابن حيان الأندلسي (654هـ)، مطابع النصر الحديثة – الرياض.
18. البداية والنهاية للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ت(774)هـ ط مكتبة المعارف، بيروت.
19. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ت(794)هـ ط، دار المعرفة، بيروت 1391هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
20. تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت(276) هـ، ط: دار الكتب العلمية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
21. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني(816هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى 1405هـ.
22. تفسير الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط الأولى: 1427 – 2006 م

23. تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(774هـ)، دار الفكر، بيروت، 1401هـ.
24. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ρ والصحابة والتابعين، لعبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي(327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية، صيدا.
25. تفسير عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت211هـ)، دار الكتب العلمية، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، سنة 1419هـ
26. التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي (ت1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.
27. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر(463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1387هـ.
28. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت 2001م، ط : الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.
29. التيسير في القراءات السبع، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت444هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثانية، 1404هـ، 1984م
30. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير – تحقيق: محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف.
31. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط الثانية 1372هـ
32. جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، لأبي طاهر عبد القيوم لعبد الغفور السندي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة
33. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد ابن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
34. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، درا الفكر، بيروت1993م .
35. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل (ت1426هـ)، دار المنار، ط الثانية 1419هـ–1999م.
36. دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط الثانية عشرة 1424هـ – 2003م

37. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق د: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط الأولى1405هـ 1985م.
38. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي(1270هـ)، دار إحياء التراث، بيروت.
39. زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(597هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة 1404هـ.
40. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحي الشافعي(942هـ)، تحقيق: إبراهيم الترزي، وعبد الكريم العزباوي . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
41. سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: المعروف بابن ماجة (273هـ)، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، درا إحياء الكتب العربية.
42. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الثقافية، بيروت.
43. السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي(303هـ)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان بندار، وسيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى1411هـ 1991م .
44. شرح الكوكب المنير، لأبي البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (ت 972هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي – نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط الثانية 1418هـ – 1997 م
45. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن محمد النُّوَيْري (ت857هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط الأولى، 1424 هـ – 2003 م
46. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (458هـ)، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طالأولى 1410هـ.
47. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي(256هـ)، حققه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة 1419هـ 1998م.
48. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري(261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
49. صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية 1392هـ..

50. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى، تحقيق سليمان ابن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط الأولى1417هـ 1997م.
51. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (852هـ) تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى1419هـ 1988م.
52. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني ت(1250)هـ، دار الفكر، بيروت.
53. فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (224)هـ، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط أولى 1430هـ، 2009م.
54. القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
55. القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت1422هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط الأولى، 1404 هـ - 1984 م
56. كتاب السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ت(324) هـ، ط دار المعارف - مصر 1400هـ، ط: الثانية، تحقيق: شوقي ضيف.
57. كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ت316هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الناشر الفاروق الحديثة - مصر، ط الأولى، 1423هـ - 2002م
58. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد ابن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت 1158هـ)،تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط: الأولى - 1996م.
59. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل فى وجوه التأويل، لأبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (538هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت.
60. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ابن عمر الشيحي، المعروف بالخازن(ت 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط الأولى، 1415 هـ
61. لسان العرب، لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. بيروت–لبنان، دار صادر، ط الثالثة 1414 هـ.

62. مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، دار القلم، ط الرابعة 1426هـ – 2005م
63. مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط الرابعة والعشرون كانون الثاني، يناير 2000م
64. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي(807هـ) دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت 1407.
65. مجموع فتاوى ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(728هـ)، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي. دار الرحمة.
66. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمى، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
67. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبى محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي (546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى1413هـ 1993م.
68. مختار الصحاح. لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: محمود خاطر، بيروت–لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط، 1415هـ–1995م.
69. مختصر التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي(ت496هـ)، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة سنة1423 هـ – 2002 م
70. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، 1419 هـ – 1998 م
71. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، لمحمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن – حلب ، ط الأولى، 1426 هـ – 2005 م
72. المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت1403هـ)، مكتبه السنة – القاهرة، ط الثانية، 1423 هـ – 2003 م.
73. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لشهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت665هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج،: دار صادر – بيروت1395 هـ – 1975 م
74. المستدرك على الصحيحين أبي عبد الله لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(405)، ط دار الكتب العلمية، بيروت1411هـ – 1990م، ط: الأولى تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

75. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت885هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، ط الأولى 1408 هـ – 1987 م
76. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت (770) هـ، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
77. معالم التنزيل في تفسير القرآن لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود ابن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط الأولى 1420 هـ
78. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، لأحمد عمر أبي شوفة، دار الكتب الوطنية – ليبيا، سنة2003م.
79. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة
80. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني(502هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
81. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ – 1979م.
82. مقدمة في أصول التفسير، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت728هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان1490هـ/ 1980م
83. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني (ت444هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
84. مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ عبد العظيم الزرقاني، ط، دار الفكر– لبنان، ط الأولى 1416هـ 1996م.
85. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري(ت833هـ)، دار الكتب العلمية، ط الأولى 1420هـ –1999م
86. الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، سنة1423هـ – 2002 م
87. موسوعة علوم القرآن، لعبد القادر محمد منصور، دار القلم العربى – حلب، ط الأولى، 1422 هـ – 2002 م.
88. موطأ الإمام مالك أبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى عالم المدينة شرفها الله ت(179)هـ، ط دار القلم، ط الثالثة 1419هـ 1999م.

89. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، لمحمد بن عبد الله دراز (ت1377هـ) . قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ط: طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م
90. النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع (ت1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.
91. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي الحسن برهان الدين إبراهيم ابن عمر البقاعي ت(885هـ)، ط، دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ- 1995م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.
92. نفحات من علوم القرآن، لمحمد أحمد محمد معبد (ت1430هـ)، دار السلام – القاهرة، ط الثانية،: 1426 هـ - 2005 م
93. نواسخ القرآن لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، شركه أبناء شريف الأنصارى – بيروت، ط الأولى، 1422 هـ - 2001 م
94. الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد محمد محمد سالم محيسن (ت1422هـ)، دار الجيل – بيروت، ط الأولى، 1417 هـ - 1997 م
95. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط الثانية، 1418 هـ - 1998 م

فهرس الموضوعات

- المقدمة
- الدراسات السابقة
- المشتملات
- الأهداف العامة لدراسة مقرر " دراسات في علوم القرآن"
- التمهيد
- المبحث الأول: علوم القرآن.... التعريف والنشأة والتطور
- المطلب الأول: تعريف علوم القرآن
- المطلب الثاني: نشأة علوم القرآن
- المطلب الثالث: ظهور اصطلاح علوم القرآن
- المبحث الثاني: القرآن الكريم أسماؤه وأوصافه (وسوره)
- المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم
- المطلب الثاني: أسماء القرآن الكريم:
- المطلب الثالث: أوصافه
- المطلب الرابع: سور القرآن
- المطلب الخامس: هل تسمية السور القرآنية توقيفية أم اجتهادية؟
- المبحث الثالث: الحديث القدسي
- المطلب الأول: تعريفه، ووجه التسمية
- المطلب الثاني: الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الأول: الوحي**

- المبحث الأول: تعريف الوحي، كيفيته وصوره، إثباته
- المطلب الأول: تعريف الوحي
- المطلب الثاني: كيفيته وصوره
- المبحث الثاني: إثبات وإمكان ظاهرة الوحي
- المطلب الأول: هل يمكن أن تتحقق ظاهرة الوحي؟
- المطلب الثاني: أدلة إمكان الوحي وتقريبه للعقول
- المطلب الثالث: بعض الأدلة التي تثبت أن الوحي من الله تعالى
- أسئلة للمناقشة

- ✓ **الفصل الثاني: نزول القرآن**
  - ▪ المبحث الأول: تنزلات القرآن
    - المطلب الأول: التنزيل الأول
    - المطلب الثاني: التنزيل الثاني
    - المطلب الثالث: التنزيل الثالث
  - ▪ المبحث الثاني: نزوله منجمًا
    - المطلب الأول: أدلة نزول القرآن منجمًا
    - المطلب الثاني: الحكمة من نزول القرآن منجمًا
    - المطلب الثالث: ملاحظة على مدة التنزيل
    - المطلب الرابع: بين العبرة من نزول القرآن منجمًا والواقع المعاصر
    - المبحث الثالث: معرفة أول وآخر ما نزل، وفوائد
    - المطلب الأول: أول ما نزل من القرآن على الإطلاق
    - المطلب الثاني: آخر ما نزل
    - المطلب الثالث: أوائل موضوعية
    - فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل
  - ▪ المبحث الرابع: القراءات القرآنية، والأحرف السبعة
    - المطلب الأول: تعريف القراءات، وعلاقتها بالقرآن
    - المطلب الثاني: أقسام القراءات، وأركان القراءة الصحيحة
    - المطلب الثالث: حكم تعلم القراءات
    - المطلب الرابع: أهم المؤلفات في علم القراءات
    - المطلب الخامس: الأحرف السبعة
    - المطلب السادس: فوائد اختلاف القراءات وتعدد الحروف
    - المطلب السابع: مراتب القراءة
    - المطلب الثامن: آداب التلاوة
    - أسئلة للمناقشة
- ✓ **الفصل الثالث: المكي والمدني**
  - ▪ المبحث الأول: تعريف المكي والمدني
  - ▪ المبحث الثاني: فائدة العلم بالمكي والمدني
  - ▪ المبحث الثالث: كيفية معرفة المكي والمدني، وضوابطهما
    - المطلب الأول: كيفية معرفة المكي والمدني

- المطلب الثاني: ضوابط معرفة المكي والمدني
- المطلب الثالث: مقاصد المكي والمدني
- المطلب الرابع: مقاصد الشريعة والعلاقة بين المكي والمدني
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الرابع: في جمع القرآن وكتابته وترتيبه**

- المبحث الأول: جمع القرآن
- المطلب الأول: جمع القرآن في الصدور
- المطلب الثاني: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق τ
- المطلب الثالث: الجمع في عهد عثمانτ
- المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور
- المطلب الأول: ترتيب الآيات
- المطلب الثاني: ترتيب السور
- المطلب الثالث: تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الخامس: أسباب النزول**

- المبحث الأول: تعريف سبب النزول لغة واصطلاحًا
- المطلب الأول: تعريف سبب النزول لغة
- المطلب الثاني: تعريف سبب النزول اصطلاحًا
- المبحث الثاني: كيفية معرفة سبب النزول؟
- المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب النزول
- المبحث الرابع: التعبير عن سبب النزول
- المبحث الخامس: تعدد الروايات في سبب النزول
- المطلب الأول: تتعدد الأسباب والمنزل واحد
- المطلب الثاني: تعدد النزول وتكرره
- المطلب الثالث: تعدد النازل والسبب واحد
- المبحث السادس: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
- المبحث السادس: الاستفادة من هذه المباحث في المنهج التعليمي والتربوي
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل السادس: المُحْكم والمُتشابِه**

- المبحث الأول: تعريف المُحْكَم والمُتَشابِه لغة واصطلاحًا

- المطلب الأول: المعنى اللغوي للمُحْكَم والمُتشابِه
- المطلب الثاني: المعنى الاصطلاحي
- المطلب الثالث: آراء العلماء في معنى المُحْكَم والمُتشَابِه
- المطلب الرابع: القرآن الكريم محكم ومتشابه
- المبحث الثاني: هل المتشابه مما يمكن معرفته؟
- المبحث الثالث: أنواع المتشابهات
- المطلب الأول: أنواع المتشابهات
- المطلب الثاني: آيات الصفات
- المطلب الثالث: أقوال العلماء في آيات الصفات
- المبحث الرابع: الحكمة من المتشابه
- المطلب الأول: حكم المتشابه الذي لا يمكن علمه
- المطلب الثاني: حكم المتشابه الذي يمكن علمه
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل السابع: الناسخ والمنسوخ**

- المبحث الأول: تعريف، وحكمه، وشروطه
- المطلب الأول تعريف النسخ لغة واصطلاحًا
- المطلب الثاني: حكم النسخ: قبل وقت الفعل
- المطلب الثالث: شروط النسخ
- المبحث الثاني: ما يقع فيه النسخ
- المبحث الثالث:أهمية النسخ، وحكمته، وطرق معرفته
- المطلب الأول: أهمية معرفة النسخ
- المطلب الثاني: حِكَم النسخ
- المطلب الثالث: طرق معرفة النسخ
- المبحث الرابع: آراء العلماء في حقيقة
- المبحث الخامس: أقسام النسخ في الكتاب والسنة
- المبحث السادس: أنواع النسخ في القرآن
- المبحث السابع: النسخ إلى بدل وإلى غير بدل
- أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل الثامن: القصص في القرآن الكريم**

- المبحث الأول: معنى القصص

- المبحث الأول: أنواع القصص في القرآن
- المبحث الثاني: أهداف قصص الأنبياء
- المبحث الثالث: فوائد القصص القرآني
- المبحث الرابع: تكرار القصص وحكمته
- المبحث الخامس: القصة القرآنية حقيقة لا خيال
  - المطلب الأول: مع دراسة لفكر هدام
  - المطلب الثاني: نقض وتقويم
- المبحث السادس: ما يستفاد من دراسة القصص القرآني
  - أسئلة للمناقشة

✓ **الفصل التاسع: المثل في القرآن الكريم**

- المبحث الأول: تعريف المثل
- المبحث الثاني: أنواع الأمثال في القرآن
  - المطلب الأول: النوع الأول: الأمثال المصرحة
  - المطلب الثاني: النوع الثاني: الأمثال الكامنة
  - المطلب الثالث: النوع الثالث: الأمثال المرسلة في القرآن الكريم
- المبحث الثالث: ما يتمثل به من قصص الأنبياء
- المبحث الرابع : أغراض الأمثال
- المبحث الخامس : الدور التربوي للأمثال
  - أسئلة للمناقشة